

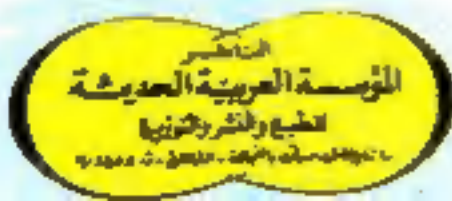


روايات مصرية للجيب -

النبع الجفاف



[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)



سأنتحر ..

لا تستنكروا عياري ، فأنا من سيفادر هذا العالم  
لا أنتم ..

لا تجزعوا لكلماتي ، فأنا أستحق الموت ..  
لم يعد هناك ما يربطني بالحياة ، ولم تعد أمامي سوى  
وميلتين .. إما أن أجن ، أو أنتحر ..  
وأنا أكره أن أجن ..

أكره تلك الشفقة المصحوبة بالسخرية ، والتي تطل  
من عيني من يشاهدون معنوياً أو مجنوناً ..  
لا تحاولوا مني ..  
أو حاولوا ، فلم تعد هناك فائدة ..

لقد تناولت منذ لحظات محتويات زجاجة كاملة من  
الأقراص المنومة ..

كانت خطتي في البداية أن أرقد على فراشي ،  
مستلماً لتلك النعاس النهائي ، الذي لن يلبث أن يسيطر  
على عقلي ، فلا أستيقظ أبداً ..

## النبع الجاف

يا فيض نبع الحب يا نهر الخلود  
حطم الأسوار لا تخشى السدود  
هب حنانك دون حد أو قيود  
أنت عشق الزهر ريحان الورد  
لا تكن يوماً لحاقداً أو حوود  
وإن جف ماءك فلتكن ناراً سود  
( نيل )



ولكن تلك الفكرة اللعينة ألحت على رأسى فى إصرار وعناد ..

فكرة أن أقصّ عليكم قصتى ، وأشرح لكم سبب إقدامى على الانتحار ..

لست أدري لماذا تراود الإنسان دائماً هذه الأفكار الحمقاء ، عندما يصبح قاب قوسين أو أدنى من لحظته الأخيرة ..

لم أستطع الاستسلام للموت ..

كانت هناك قوة أكبر منى ، تدفعنى لكتابة هذه الكلمات .. ولم يكن أمامى سوى طاعتها ..

استمعوا إلىّ جيداً ، فلن أكرّر عبارة واحدة ، فلا بد لى من إتمام القصة قبل أن يداهمنى النعاس الأخير .. أعتقد أن قواعد الذوق تقتضى أن أخبركم أولاً من أنا .. أنا .....

كلاً .. فليذهب الذوق ، ولتذهب اللياقة إلى الجحيم . أى ذوق هذا ، وأية لياقة يحرص عليها رجل فى طريقه إلى الموت ؟

كل ما أستطيع إخباركم به ، هو أننى من أبناء الصعيدين ..

\*\*\*\*\* ٦ \*\*\*\*\*

وبالذات من مدينة ( دشنا ) ، إحدى مدن محافظة قنا .. قد تبدوا لكم هذه المعلومة عديمة القيمة ، ولكنها ليست كذلك ..

إنها السبب الرئيسى الذى يدفعنى للانتحار .. هذا لا يعنى أننى أتبرأ من مدينتى ، إننى على العكس أفخر بها ، وأفخر باقتسابى إليها ، وبكونى أحد أبنائها .. ولكنها التقاليد ..

والتقاليد فى الصعيد أيها السادة عالم آخر .. قد تبدوا لكم يا أبناء القاهرة مثيرة للعجب أو السخرية ، ولكنها تقاليدنا ، ونحن نتمسك بها ، ونحرص عليها أشد الحرص ..

بل إننا قد نقتل من أجلها .. والصعيد أيها السادة ليس مجتمعاً واحداً .. إنه عدة مجتمعات فى وعاء واحد ، فأبناء الصعيد يعيشون دائماً فى مجتمعات قبلية ، تماماً كما كان الناس فى العصور القديمة .. قد يضطرون إلى مسابقة القوانين الحكومية ، وطاعتها .. ولكنهم لا يبالون بها ، فلهم دائماً قانونهم الخاص ، ولكل فئة منهم قانون يختلف عن الفئات

\*\*\*\*\* ٧ \*\*\*\*\*



تبدأ القصة في واحدة من كليات جامعة القاهرة ،  
وبالتحديد في كلية الصيدلة ، حيث يعمل ( حامد ) ،  
و ( راوية ) معيدين في قسم واحد ، وهو قسم الأدوية ..  
لم تبدأ علاقة ( حامد ) و ( راوية ) بعد عملهما في  
القسم ، وإنما بدأت وهما بعد طالبان في الكلية ..

أيامها نشأت بينهما قصة حب هادئة جميلة .. كانت  
حديث كلية الصيدلة ، بل كانت حديث جامعة القاهرة  
بأكملها ، فقد كانت قصة حب نظيفة أنيقة ، لا تبث  
في النفوس سوى الإعجاب والاحترام ..

كانا يلتقيان كل صباح على بوابة الكلية ، فيتنسم  
كل منهما في وجه الآخر ابتسامة تفيض حبا وعشقا  
وهياماً ، ثم تلتقي كفاهما في مصافحة رقيقة ، ويتبادلان  
كلمات هامة ، لم ينجح أى من زملائهما يوماً في التقاطها ..  
بعد ذلك كانا يتوجهان معاً إلى قاعة المحاضرات ،  
حت يصغى كل منهما إلى المحاضر في اهتمام ، ثم يغادران  
القاعة بعد انتهاء المحاضرة ، فيذهب كل منهما إلى عمله ..

\*\*\*\*\* ١ \*\*\*\*\*

الأخرى ، ولكنهم يتفقون في اعتزاز كل فئة منهم  
بنفسها ، وفي اعتبار قبيلتهم هي الجنس الأسمى ، ومن عدا  
ذلك فهو من الجنس الأدنى ..

هناك تجد من يطلقون على أنفسهم اسم الهوارة ،  
وآخرون يسمون أنفسهم بالأشراف ، وهناك العرب ،  
والدهاشنة و ... و ...

كل قبيلة من هذه ترفض تزويج بناتها من أبناء  
القبائل الأخرى ، وتعد هذا عاراً لا تمحوه الأيام ..

لعلكم فهمتم الآن مغزى ذلك الاستطراد في قصتي ..  
بل لعلكم قد فهمتم القصة تقريباً ..

والقصة الحقيقية لم تحدث في ( دشنا ) .. بل لم تحدث  
في أى من مدن الصعيد ..

لقد حدثت في القاهرة ..

وسأقصها عليكم كما لو كنت أروى قصة أخرى ..  
سأقصها كما لو لم أكن أحد أبطالها ..

اسمعوا إذن قصتي ، وحاولوا أن تعرفوا منها من أنا ..  
هيا .. حاولوا .

\*\*\*\*\* ٨ \*\*\*\*\*



أراهنك أن قلبك كان سيختلج بين ضلوعك  
كالعصفور ، لو أنك رأيتهما وهما يفترقان في تلك اللحظة ..  
كانت اللفة تملأ عيونهما ، وكأنهما يتفصلان إلى الأبد ..  
كانا يتباعدان في بطن و تناقل ، وكأن كلا منهما  
يحاول إطالة الوقت قبل لحظة الفراق القصير ، ثم لا تلبث  
خطواتهما أن تسرع ، وكأن بينهما اتفاقاً غير مكتوب  
على ألا يضيع الحب تفوقهما في الدراسة ..

وبعد انتهاء فترة المعامل يعودان للقاء في لحظة ، وتنطلق  
من أعماقهما ضحكات مرحة ، تعبر عن فرحتهما باللقاء ..  
وآه من لحظة الفراق في نهاية اليوم الجامعي !!  
تكاد عيونهما تبكي في لوعة .. وقلوبهما تدمى في ألم ..  
كانا يقفان في كل يوم أمام بعضهما البعض في  
صمت ، قبل لحظة الفراق ، وكأن كلا منهما يؤكد  
للاخر ، أنه سيعيش عذاب الفراق حتى يأتي الصباح التالي ..  
كان عذابهما يكمن في الإجازات الأسبوعية ،  
والإجازة الصيفية الطويلة ..

كان فراقهما - حينذاك - يمزق مشاعرهما ، ويحطم  
حنانهما ..

يقول المقرَّبون إن ( حامد ) كان يزداد نحولاً وشحوباً  
في الإجازات ، وإن ( راوية ) كانت تظل شاردة ،  
واحدة طيلة الإجازة ..

ولكنهما لم يحاولا الالتقاء يوماً خارج الجامعة ، فقد  
كانا يعلمان أن هذا خطأ ، ما دام لم يرتبطا برباط رسمي  
أمام عائلتيهما ..  
نسيت أن أخبركما كيف يبدو ( حامد ) ، وكيف  
يبدو ( راوية ) ..

إن ( حامد ) شاب نحيل ، هادئ الطباع ، له أنف  
مستقيم ، وعينان تلوح فيهما الطيبة والمرح ، وهو أسمر  
البشرة مجعد الشعر ، له شارب أنيق تحت أنفه ، وتلوح  
في سباه شهامة الريني الأصيل ، الذي ما زال يحتفظ بكل  
ما في النفس من خصال طيبة ..

أما ( راوية ) فهي فتاة متوسطة الطول ، لها بشرة  
خمرية ، وعينان عسيتا اللون ، واسعتان ، لها رموش  
سوداء طويلة ..

شعرها الأسود الطويل يتموج في هدوء فوق رأسها ،  
وينسدل على كتفها في رقة جميلة ..



شفتاها زهرة من زهور الجنة، ودفقة من دفء الحياة..

أما قلبها فهو نبع من الحب والحنان ..

نبع لا تجف مياهه العطرة ، مهما أفاض وأروى ..

اسمها ( راوية ) ، وهي راوية ، تروى القلوب بنبع

حبها الذي لا ينضب ..

لقد نجحت ( راوية ) في البكالوريوس بتفوق ،

وكذلك فعل ( حامد ) ..

كان ترتيبه الأول ، وترتيبها الثانية ، وتم تعيينهما في

في قسم واحد ، معيدتين في كلية الصيدلة ..

أخيراً لم تعد تفرقهما المعامل ، بل أصبحت تجمعهما

في أبحاثهما ودراستهما ..

وفي ذلك اليوم من أيام أغسطس ، جمعتهما معمل الأدوية ،

والتقيا بنفس الابتسامة الملهفة ، واقترب ( حامد ) من

( راوية ) ، وهمس في أذنها :

— ألم يحن الوقت بعد ؟

خفضت رأسها في خجل وسعادة ، وهمست ووجهها

يتضرّج بحمرة الخجل :

— يحن لماذا ؟

ابتسم في حنان ، وقال :

— لزواجنا .

ازدادت حمرة وجهها ، وتضاعف خجلها وهي

تهمس :

— لك أنت أن تقرّر ذلك .

ضحك في مرح ، وقال :

— لقد قرّرت .

ثم أردف في جدية :

— متى يمكنني مقابلة والدك ؟

همست وقلبها يختلج في قوة وسعادة ، لمقدم ذلك

اليوم ، الذي عاشت تحلم به منذ أول لقاء لها معه :

— الليلة إن أردت .

تهللت أساريره ، وهتف في سعادة :

— فليكن موعدنا في الساعة مساءً إذن .

السابعة .. متى تدق الساعة السابعة ؟ متى يأتي موعد

لقاتنهما ؟

تردّد هذا الهتاف في أعماق ( راوية ) ، وهي تصعد

في سلام منزلها ، وتقرع الباب في سعادة واضحة ..



ولم تكذ أمها تفتح الباب ، حتى ألقت هي بنفسها بين ذراعها ، وصاحت :

— كيف حالك يا أجهل أم في الوجود ؟

تهلل قلب الأم لفرحة ابنتها ، فانهالت عليها بالقبلات ، وهي تضيها إلى صدرها في سعادة ، وتهتف :

— كيف حالك أنت يا أجهل ابنة ؟

ضحكت ( راوية ) في مرح ، وقالت :

— لا يوجد من هو أجهل منك يا أماء .

ثم أردفت في اهتمام :

— هل عاد والدي من عمله ؟

أجابتها الأم في اهتمام مماثل :

— إنه في حجرة مكتبه .

أسرعت ( راوية ) إلى حجرة مكتب أبيها ، وتابعتها

الأم ببصرها في سعادة ، وهي تغتم ، وقد أنبأها قلبها

بسبب فرحة ابنتها :

— يا لك من عروس جميلة يا ( راوية ) !!

دقت ( راوية ) باب مكتب والدها في هدوء ،

وانتظرت حتى جاءها صوته الصارم يقول :

— ادخل يا من بالباب .

دفعت ( راوية ) الباب ، ودخلت على أطراف

أصابعها ، كماداتها كلما اقتحمت على أبيها خلوته ، وتابعتها

هو بنظراته الصارمة ، حتى اتخذت المقعد المقابل له ،

فقال في هدوء :

— خيراً !

ترددت ( راوية ) لحظة ، وهي تتأمل ملامح أبيها

الصارمة ..

كانت الطبيعة قد وهبت ملامح صارمة ، وبشرة

نحرية حوّلها العمل إلى لون داكن بعض الشيء ، وهو

بصر على إطلاق شاربته في مبالغة ، تزيد ملامحه صرامة ،

وكانت له عينان عسيتا اللون كابتته ، إلا أنهما نفاذتان

صارمتان ، أطالا من تردد ( راوية ) قبل أن تقول :

— هناك زميل لي يرغب في مقابلتك يا أبتاه .

عقد حاجبيه وهو يزيع الكتاب ، الذي كان يقرؤه

جانباً ، ثم سأها :

— ولماذا يرغب في مقابلتي ؟

تخضّب وجهها بحمرة الحجل ، وهمت :



— لست أدري .

تأمل الوالد ارتباكها وخجلها ، وقال في هدوء :

— إنه يريد الزواج منك .. أليس كذلك ؟

غمغمت وقد اشتد خجلها :

— ربما .

ظلت ملامح الوالد صارمة لحظة ، ثم عاد يلتقط

كتابه ، وينقل بصره إليه ، قائلاً :

— فليات بعد غد .

ارتبكت ( راوية ) ، وغمغمت :

— يقول إنه سيأتي في السابعة من مساء اليوم يا أبي .

اتسعت عينا الوالد في استنكار ، كما لو كان قد

تلقى صفة قوية ، وعاد يلتقي كتابه جانباً ، ويقول في

غضب وصرامة :

— ومن أعطاه هذا الموعد ؟

ازداد ارتباك ( راوية ) ، وهي تقول :

— هو الذي ....

قاطعها الوالد هاتفاً :

\*\*\*\*\* ١٦ \*\*\*\*\*

— هو الذي ؟ .. إذا أراد مقابلي ، فلينتظر حتى  
أحدد أنا موعد اللقاء .

تجمعت الدموع في عيني ( راوية ) ، وهي تقول :

— ليست هناك من وسيلة لإجباره بتأجيل الموعد يا أبي .

قال في برود ، وهو يستعيد كتابه للمرة الثانية :

— ليكن .. سأغادر المنزل في السادسة .

كادت تبكي وهي تسأله في صوت ضعيف :

— أليدك عمل عاجل ؟

أجابها والدها في برود :

— ليس لدي أي عمل على الإطلاق ، ولكنني لن

أستقبله الليلة .

لم تفهم ( راوية ) سبب تعنت والدها هذه المرة ..

لقد عهدته دائماً صارماً عنيداً ، ولكنها لم تعهده

متعناً ..

عادت تغتمخ في لهجة أقرب إلى التوسل :

— أرجوك يا والدي .

قال في صرامة :

— اذهبي إلى والدتك ، فأنأ أقرأ كتاباً هاماً .

\*\*\*\*\* ١٧ \*\*\*\*\*



### ٣ - نبع العذاب ..

انتفض قلب ( راوية ) ، واختلج بين ضلوعها ،  
عندما دق جرس الباب في تمام الساعة ، فتعلقت بذراع  
أمها ، وقالت في صوت كالبكاء :  
— ماذا تفعل يا أمي ؟.. لقد انتصرف والدي ،  
وهامو ذا ( حامد ) .

ربنت الأم على كف ابتها في حنان ، وقالت :  
— لا تخشى شيئاً يا بني ، إنه لن يغضب .  
وازداد اختلاج قلب ( راوية ) ، عندما توجهت  
أمها لفتح الباب ..  
ازداد اختلاج قلبها ، حتى كادت تسقط مغشياً عليها ..  
وفتحت الأم الباب ، وطالعتها وجه ( حامد ) الباسم  
البشوش ..

ابتسامته المشرقة ألقت بفيض من الحنان في أعماقها ..  
كادت تستقبله بين ذراعيها ، وتربت على رأسه في  
حنان كما تفعل مع ابنتها ..

إن الله — سبحانه وتعالى — لم يهبها من الأبناء سوى

توقفت ( راوية ) عن مناقشته عند هذه النقطة ..  
كانت تعلم أن مناقشته لن تؤدي إلا إلى مزيد من  
العناد ..

انصرفت من حجرة مكتبه ، وهي تفكر في ( حامد ) ..  
تضرعت إلى الله ألا يجرح هذا كرامته ..  
امتلاً قلبها بالخوف على حبها ، فهتفت من أعماقها :  
— ربنا .. إننا لم نغضبك يوماً .. عاوننا يا إلهي .





( راوية ) ، وكانت تتوق دوماً إلى ابن تهبه جزءاً من  
حنانها الفيّاض ..

وفي هذه اللحظة ، وهي تتأمل وجه ( حامد ) الباسم ،  
شعرت أن الله — سبحانه وتعالى — قد منحها هذا الابن ..  
انتقلت بشاشته إليها ، وهي تبسم ابتسامة واسعة ،  
ملؤها الحنان والحب ، وتهتف في أمومة صادقة :

— مرحباً يا ولدى .. كيف حالك ؟

مس صوتها المغم بالأمومة شغاف قلبه ، فانحنى يقبل  
كفها ، كما كان يفعل مع والدته — رحمها الله — وقال :

— في خير حال يا أمّاه .

ثم اعتدل ، وقال وهو يتسم :

— ترى .. هل أتيت في موعد مناسب ؟

قفزت ( راوية ) من مقعدها ، وقذفها قدمها إلى  
وهي تهتف :

— تفضل على الرحب والسعة يا ( حامد ) .

أنسته رؤيتها الدنيا وما فيها ، فتقدم بضع خطوات  
إلى الداخل ، وهم بمصافحتها في حنان ولطف كعادتهما ،  
إلا أنه توقف فجأة ، وتلفت حوله في ارتباك ، وسأل :

— هل والدك هنا ؟

تبادلت الأم وابنتها نظرات مرتبكة ، ثم قالت الأم  
في خجل :

— معذرة يا ولدى ، لقد كان مرتبطاً بموعد سابق و...  
قبل أن تتم كلماتها ، قفز ( حامد ) كالملسوع ، إلى  
خارج المنزل ، ونغم في ارتباك :

— عفواً للدخول إذن .. متى يعود الوالد ؟

هتفت الأم في ترحاب صادق :

— بل تفضل يا ولدى .. أنت على الرحب والسعة .  
هز رأسه نفيّاً في قوة ، وقال :

— كلاً ، كلاً .. سأعود حينما يكون الوالد هنا ..

وعاد يسأل في لطفة :

— متى يمكنه استقبالي ؟

نغمست ( راوية ) في انكسار :

— بعد غد بإذن الله .

ظهرت خيبة الأمل على وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن  
قال في هدوء حزين :

— حسناً .. لن يضيرنا الانتظار .. سأعود بعد غد .



ثم أسرع يهبط في درجات السلم ، على حين اندفعت  
( راوية ) إلى حجرتها ، وانفجرت بالبكاء وهي تنتحب  
قائلة :

— لماذا فعلت بي هذا يا أبتاه ؟ .. لماذا ؟

لم تعلم الإجابة في هذه الليلة ، فهي لم تلتق بوالدها  
عندما عاد في آخر الليل ..

ظلت تبكي في حجرتها ، على حين جلس والدها  
يستمع من أمها عما فعله ( حامد ) ، حينما لم يجده في المنزل ،  
وتألق في عينيه بريق إعجاب ، لم يخف على الأم ، وهو  
يفتّل شاربه الكبير ، قائلاً :

— أهو فعل ذلك ؟

أجابته الأم في استسلام اعتادته ، من طوال معاشرتها له :  
— نعم .. وكان يبدو حزيناً نحائباً .

عاد الوالد يفتّل شاربه في صمت ، ثم قال :  
— إنه شاب ناضج أمين .

سأله الأم في لهفة :

— هل تعني أنك توافق على الزواج ؟

عاد يحدّجها بنظرة صارمة ، ويقول :

\*\*\*\*\* ٢٢ \*\*\*\*\*

— لم يحن الوقت بعد .

لم تدر ( راوية ) شيئاً عن هذه المحادثة ، وهي تتوجه  
إلى عملها في معمل الأدوية في الصباح التالي ..

كانت تجر قدميها جرّاً ، وهي تخشى لأول مرة  
مواجهة ( حامد ) ..

كانت تخشى غضبه واستيائه ..

ولكنه استقبلها بابتسامته المتهلفة الحنون كعادته ،  
ولكن عينيه امتلأت بالجزع ، وهو يلمع شعوبها وتوترها ،  
فهتف :

— ماذا بك يا ( راوية ) ؟

لم تستطع مواجهة عينيه ، وهي تغمغم :

— إنني أعتذر عن عدم استطاعة والدي مقابلتك و ...  
قاطعها في حنان :

— لقد انتظرنا طويلاً ، ولن يضيرنا انتظار يومين  
آخرين ..

حلت همساته فيضاً من الدفء إلى أعماقها ، فرفعت  
عينها إليه في حب ..

امتدت يده إليها ، وامتدت يدها إليه .. وتصافحا ..

\*\*\*\*\* ٢٣ \*\*\*\*\*



تصافحاً بنفس الحضان والحب الذي اعتاده منذ  
تعارفهما الأول ، وهمس كل منهما بالكلمات نفسها التي  
اعتاد التهامس بها ، ثم قال ( حامد ) :  
— لقد أرسلت خطاباً لشقيقى الأكبر ( أبو الوفا ) ،  
أنخبره بعزى الزواج منك .

ابتسمت في خجل ، فأردف في سعادة :  
— أنت تعلمين أنه بمثابة والد لى ، منذ فقدت أمى  
وأبى ، وكان لابد أن يعلم .  
غمضت في خجل :  
— بالطبع .

عاد إليهما مرحهما كله ...  
أنساهما حبهما كل شيء .. أنساهما الوقت والزمن ..  
أنساهما كل شيء ، إلا موعد لقاء ( حامد ) بوالد  
( راوية ) ..  
ففي الوقت المحدد تماماً ، كان ( حامد ) يندق باب  
منزل ( راوية ) ..

وفي هذه المرة استقبله الوالد بنفسه ..  
استقبله بابتسامة باشة هادئة ، وإن لم تخف صرامته

\*\*\*\*\* ٢٤ \*\*\*\*\*

المعهودة ، وقاده إلى حجرة الجلوس مباشرة ، ثم جلس  
على المقعد المقابل له ، وتفرس في ملامحه جيداً ..  
شعر ( حامد ) ببعض الارتباك أمام نظرات الوالد  
الفاحصة ، ولكنه استجمع جراته ، ونفض ارتباكه وهو  
يقول :

— لعل سيادتك تعلم تقريباً الغرض من حضوري إلى هنا .  
ابتسم الوالد ، وهو يقول في هدوء :  
— تقريباً ..

ازدرد ( حامد ) لعابه ، وتابع :  
— اسمى ( حامد الليثى ) ، ومهنتى معيد بقسم  
الأدوية ، في كلية الصيدلية ، يبلغ مرتبى الشهرى ....  
قاطعه الوالد ، وهو يتسم في هدوء :  
— أعرف مرتبك يا ولدى ، فهو نفس مرتب ابنتى .  
أوماً ( حامد ) برأسه موافقاً ، وقال :  
— نعم يا عمّاه .. ولكننى أحصل على إيراد إضافى  
محترم من قطعة أرض زراعية ببلدتى .

عاد الوالد يقاطعه ، قائلاً :  
— دعنا من دخلك السنوى ، وأجب عن سؤالى .

\*\*\*\*\* ٢٥ \*\*\*\*\*



هتف ( حامد ) في حماس :

— كما تأمر يا عمّاه .

ابتسم الوالد ، وسأله :

— لماذا انصرفت أمس الأول .

بدت الدهشة على وجه (حامد) لحظة ، ثم بدا وكأنه

فهم السؤال ، فقد أجاب في سرعة :

— لم تكن أنت بالبيت يا عمّاه ، وليس من تقاليدنا أن

أدخل بيتاً خرج منه صاحبه ، ثم إن وجود نساء وحدهن

في المنزل يقتضي عدم دخولي .

تألق الإعجاب في عيني الوالد ، وفشل شاربه وهو

يقول :

— هكذا يفعل كل رجل شريف .

ثم أردف ، وهو يميل بجسده نحو (حامد) :

— أنت شاب يأمن المرء لابنته في كنتفك .

تهللت أسارير (حامد) ، وكادت (راوية) تطلق

صرخة سعادة من خلف باب حجرتها ، حيث وقفت

تسترق السمع مع والدتها ..

وفهمت الوالدة مغزى عبارة الأب ، فأخذت ابتها

بين ذراعيها ، وقبلتها في وجنتها بحب وسعادة وهي تقول :

— مبارك يا بني .

احمرّ وجه ( راوية ) خجلاً ، ونحمت :

— دعينا نستمع إلى باقي الحديث يا أمّاه ..

كان الوالد يسأل ( حامد ) في هذه اللحظة :

— تقول إنك تمتلك أرضاً زراعية في بلدتك .. أين هي

بلدتك بالضبط ؟

ابتسم (حامد) ، وهو يقول في فخر :

— إنني واحد من أبناء الصعيد ، من مركز ( دشنا ) .

عقد الوالد حاجبيه في صرامة ، وتراجع في مقعده .

وأخذ يداعب شاربه في عصبية واضحة ، وهو يقول :

— من مركز ( دشنا ) ؟ .. إلى أي عائلة تنتمي ؟

شعر (حامد) بالحيرة لهذا التبدل المفاجئ ، الذي

أصاب والد ( راوية ) ، ولكنه أجاب :

— قلت لك إنني أنتمي إلى عائلة ( الليثي ) يا عمّاه

سأله الوالد فيما يشبه الشرود :

— ( مختار الليثي ) ، أم ( فوزي الليثي ) ؟



دارت الأرض أمام عيني ( راوية ) ، وكنت في  
صعوبة صرخة لوعة . كادت تفلت من بين شفتيها ..  
عجزت قدميها عن حملها . فتهاوت على طرف  
فراشها ، واحتضنتها أمها في جزع ..

أما ( حامد ) فقد فرّط الدماء من وجهه ، وشعر  
بعجزه عن الحركة والنطق ، حتى أنه بذل مجهوداً يفوق  
طاقة البشر ، ليقول في صوت متحشرج :

- ولكن لماذا يا عمّاه ؟

أجابه الوالد في خشونة :

- لأنني أيضاً من مركز ( دشنا ) يا أستاذ (حامد) ،

ولكنني من عائلة ( الهواري ) .

هتف ( حامد ) :

- وما الذي يعوق زواجنا في هذا ؟

ازداد انعقاد حاجبي الوالد ، ولوح بكفه صائحاً :

- ألم تفهم بعد ؟ .. نحن من الهوارة ، وأنتم من

العرب . ومن العار في تقاليدنا أن أزوجهك ابنتي .

جاء دور ( حامد ) ليعقد حاجبيه ، وهو يسأل :

- هل تعرفهما يا عمّاه ؟

كرّر الوالد سؤاله في صرامة :

- لأيهما تنتمي يا سيد ( حامد ) ؟

أجابه ( حامد ) في دهشة :

- والدي هو ( فوزي الليثي ) - رحمه الله - يا عمّاه .

بدا وكأن الوالد قد أصيب بصدمة قاسية ، فقد

شحب وجهه ، واستند بظهره إلى مقعده . وتثبت

بقبضته في مسنده ، حتى أن ( حامد ) سأله في جزع :

- ماذا أصابك يا عمّاه ؟

بقى الوالد يتطلع إليه لحظة ، ثم قال في صرامة وبرود :

- آسف يا أستاذ (حامد) .. لا يمكنني إتمام هذا

الزواج أبداً .

ثم كرّر في مزيد من الصرامة :

- أبداً .





صاح (حامد) في استنكار :

— هذه تقاليد بالية يا سيدي .

قال الوالد في صرامة :

— تقاليد الصعيد لا تبلى أبداً يا فتى .

قال (حامد) :

— أنت تعيش في القاهرة منذ زمن طويل .

— ولكن جذوري ما زالت ترتوى من أرض الصعيد .

— الإنسان يتبع تقاليد المكان الذي يقيم فيه .

— خطأ يا فتى .. إن التقاليد تنبع مع الفرد ، ولا

تغادره إلا بعد أن تغادر منه الروح الجسد .

— ليس من المنطقي أن نتبع تقاليد ، لا تناسب العصر

الذي نعيشه .

— هناك من التقاليد ما يشبه الماء والهواء ، لا تختلف

مكوناتهما من عصر إلى آخر .

— لقد تحدّيت أنا التقاليد بطلبي الزواج من ابنتك .

— أنت تتصور ذلك ، ولكن أهلك لن يسمحوا لك بذلك .

— سأتحداهم جميعاً .

— افعل ما بدا لك ، ولكنني لن أساير حماقاتك .

— عاونتي على الأقل .

صمت الوالد هذه المرة ، ولم يكمل الحوار ،

وانطلقت من عينيه نظرة صارمة ، كان فيها الجواب

الكافي ، فغمغم (حامد) في شحوب :

— أليس هناك من فائدة ؟

جاء جواب الوالد صارماً قاسياً ، وهو يقول :

— وداعاً يا أستاذ (حامد) .

وداعاً .. وداعاً ..

يا لها من كلمة قاسية مريرة ، حطمت أعظم حب في

هذا العالم المادي القبيح !!

هكذا تحدث (حامد) إلى نفسه ، وهو يقطع الطريق

الطويل بين منزل (راوية) ، ومنزله على قدميه ..

كان يسير شاربداً ، زائف النظرات ، واجم الملامح ..

من المستحيل أن تنتهي قصة حبه لـ (راوية) على

هذا النحو ..

ليس من العدل أن يفترقا على هذه الصورة ..

لعن التقاليد القديمة ، والقبيلة ..

لعن صعيد مصر كله ..



توقف على كورنيش النيل يتأمل مياهه ، التي تألفت  
بالأضواء المنعكسة عليها ..

راودته لحظة فكرة الانتحار ..

فكرة إلقاء نفسه في النيل ..

ولكنها لم تلبث أن تراجعت ..

عاد يسير صامتاً ، وعقله يبحث عن وسيلة لتحطيم  
هذا الحائل العجيب ، الذي أقيم بينه وبين من يحب ..

لم يشعر بمضي الوقت ، حتى وجد نفسه فجأة أمام  
منزله ..

صعد في درجات السلم في ببطء وتراخ ، ودس مفتاحه  
في ثقب الباب في حركة آلية شاردة ، ثم دفع الباب ،  
ووقف لحظة يتأمل الشقة المظلمة ..

بدت له في هذه اللحظة كقبر يضم رفات أحلامه ،  
وجثة أمانه ..

وبقدميه خطا إلى القبر ، وأغلق الباب خلفه ..

وفي هدوء ولا مبالاة أضواء ردهة المنزل ..

لم يكذب يفعل ، حتى تراءى له ذلك الشخص الذي  
يجلس على المقعد المقابل ..

ذلك الشخص الذي تم ملاحقه على صرامة لا حدود لها .  
هتف في دهشة ، تمتزج ببعض ما تبقى في قلبه من شعور :  
- ( أبو الوفا ) ؟ .. متى حضرت ؟ .. وكيف دخلت  
إلى هنا ؟

أسرع يعانق شقيقه الأكبر ، الذي أجابه في برود :  
- لقد حضرت فور تسلمي خطابك .. أسرعت إلى  
هنا في أول قطار ، واستخدمت ذلك المفتاح الذي أعطيتني  
إياه في دخول شقتك .

لم يلحظ ( حامد ) برود شقيقه ، وهو يقول :  
- آه .. كنت قد نسيت أمر هذا المفتاح .. حمداً لله  
على سلامتك .. هل تحب أن أعد لك طعام العشاء ؟  
أزاحه شقيقه في حنق ، وصاح فجأة :  
- ما هذا الخطاب الأحمق الذي أرسلته ؟ .. هل  
أصابك الجنون ؟

حدّق ( حامد ) في وجه ( أبو الوفا ) لحظة ، ثم غمغم  
في دهشة :

- الجنون ؟

هتف ( أبو الوفا ) في غضب :

— بلا شك .. ما دمت تفكر في الزواج من ابنة  
( إبراهيم الهوارى ) .

عقد ( حامد ) حاجيه في غضب ، وصاح :  
— وماذا في ذلك ؟ .. أنتم تتحدثون كما لو كان  
الزواج عاراً .

نحوّل الحديث بينهما إلى صراخ غاضب ، و ( أبو الوفا )  
يقول :

— إنه يصبح عاراً عندما يتزوج العربي من هوارية .  
— ويصبح عادياً لو تزوج فتاة عادية .. أليس كذلك ؟  
— أكرم لك أن تزوج واحدة من بنات عمومتك ،  
أو بنات أخوالك .

— الأكرم هو أن أتزوج بمحض إرادتي ، لا طبقاً  
لتقاليد بالية .

— فعلت هذه مستصم عائلتنا بالعار مدى الحياة .  
— أى عار في زواج شريف ؟ هل أنستكم عصبيتكم  
ما أحله الله ( سبحانه وتعالى ) .

— كفى مجادلات فلسفية .. إنك لن تزوجهما مهما  
قلت أو فعلت .

— اطمئن .. ولتطمئن عائلتنا المتخلفة .. لقد رفض  
والدها هذا الزواج .

شحب وجه ( أبو الوفا ) عند هذه النقطة ، وتراجع  
وهو يصرخ في غضب :  
— رفض الزواج ؟

ثم انفجر كبركان ثائر ، وهو يستطرد :

— ( إبراهيم الهوارى ) رفض زواجك من ابنته ؟  
هل رأيت أى عار أسبغته على عائلتك ؟ .. أى هوان  
عرّضت نفسك له ؟ .. القاهرة كلها تمتلئ بالجميلات ،  
صاحبات النسب والحسب ، ألم تجد وسطهن سوى ابنة  
هذا الهوارى المفرور .

صرخ ( حامد ) ثائراً :  
— كفى يا ( أبو الوفا ) .. من يراك تتحدث هكذا

بظنك جاهلاً متخلفاً ، ألم تفدك دراستك الجامعية ؟ ..  
ألم يهذب بكالوريوس التجارة ، الذى حصلت عليه  
مشاعرك وأفكارك ؟

صاح ( أبو الوفا ) :  
— إننا لا نحصل على هذه الشهادات الجامعية ، لننسلخ



عن بيثتنا وأرضنا أيها المتعلم ، إنها فقط تجعلنا أقوى  
وأكثر هيبة ، ولكنها لا تدفعنا لمخالفة تقاليدنا .

هتف ( حامد ) :

— بل المفروض أن تفعل ذلك .. إنني لا أطلب  
بتحطيم كل التقاليد ، ولكن بتنقيتها من كل ما يخالف  
العقل والمنطق والشرعية .

أمسك ( أبو الوفا ) بذراع شقيقه ، في قوة آلمت هذا  
الآخر ، وقال في صرامة :

— اسمع يا ( حامد ) .. لقد توليت تربيته بعد وفاة  
والدنا — رحمه الله — ولم أبخل بشيء — أي شيء — لأجعل  
منك رجلاً ناضجاً ، ولكنني لم أتصور يوماً أن تخالف  
تقاليدنا على هذا النحو .

أراد ( حامد ) أن يتكلم ، إلا أن شقيقه شدد من  
قبضته على ذراعه ، وهو يستطرد :

— حينما تلقيت خطابك كاد قلبي يتوقف من المفاجأة ،  
ولكنني لم أخبر أحداً من أشقائك وشقيقاتك ، بل فضلت  
أن أسرع إلى هنا وحدي لمنع هذه الفضيحة .

هتف ( حامد ) في استنكار :

— فضيحة ١٩ .. إن ( راوية ) أشرف مخلوقة على  
وجه الأرض ، وزواجي منها فخر لي .

انتزع ( أبو الوفا ) من ثيابه فجأة مسدساً ضحكاً ،  
رفعه في وجه ( حامد ) ، وقال :

— لن تجلب العار لعائلتك أبداً .. ولو أنك لم تراجع  
عن فكرة الزواج من هذه الفتاة ، فلن يكون أمامي سوى قتلك .

في هذه اللحظة بالذات ، وفي واحدة من مصادفات  
القدر ، كان ( إبراهيم الهواري ) يقول لابنته العبارة

ذاتها ، مما دفعها لأن تغتم في شحوب :

— تقتلني يا أبتاه ١٩ .. تقتل ابنتك لجرّد أنها تطالب  
بحقها الشرعي في اختيار شريك حياتها .

هتف الوالد في صرامة :

— نعم أقتلك ، وأحافظ على شرفي وكرامتي أمام العائلة .  
انكشيت الأم في مقعدها ، وهي تستمع إلى ذلك  
الحوار ، والحزن يعتصر قلبها ..

كانت تعلم أن زوجها لن يتراجع عن قراره ،  
وإن اضطر لمخاربة العالم أجمع ..  
منذ تزوجته وهي تعلم صرامته وقوته وعناده ..

كانت تعلم أنه على الرغم من إقامته في القاهرة ،  
منذ كان في الحادية عشرة من عمره ، إلا أنه ما زال  
يحتفظ بعقلية قومه ..

نفس عصبيتهم واعتزازهم بجنسهم وقوتهم ..  
إصراره على إطلاق شاربه بهذه الصورة ، دليل على  
انتمائه الشديد لمسقط رأسه ..

كانت تعلم أن له عقلية راجحة ناضجة ، ولكنه كان  
دائماً دكتاتوراً في منزله ..

لم تجرؤ هي يوماً على مناقشة أوامره ، لذا فقد أدهشها  
الموقف الذي تقفه ابنتها الآن في مواجهته ..  
أدهشها أكثر أنه كان يحتمل غضب ابنته ، ويواصل  
مناقشته معها ..

كانت ( راوية ) بادية الغضب ، وهي تقول :  
— أنت تتحدث عن شرف العائلة وكرامتها ، وكأنني  
مسافر مع ( حامد ) .. إننا لم نخطئ .. إنه يتقدم لطلب  
الزواج مني بوسيلة شرعية سليمة .

مطأ الوالد شفتيه ، وقال في برود :  
— لو أنه واحد من أبناء القاهرة ، ما رفضت زواجك

منه يا ( راوية ) ، ولكن كونه من أبناء بلدتنا ، ومن  
عائلة ، أخرى يجعل هذا الزواج مستحيلاً ..

— عجباً !! .. أنت تتحدث كما لو كانت هذه  
القبيلة الأخرى تدين بديانة مخالفة ، هل منع الله ( سبحانه  
وتعالى ) الزواج بين القبائل .  
— منعه تقاليدنا .

— فلتذهب تقاليدنا إلى الجحيم لو أنها تخالف شرعنا  
وديننا .

عقد الوالد حاجيه عند هذه النقطة ، وبدأ وكأن  
شياطين الجحيم كلها تتقافز في وجهه ، وهو يقول في صرامة :  
— لا بد أن تتزوجي يا ( راوية ) ، وعلى وجه السرعة .

شحب وجهها وهي تغتم :  
— ماذا تعني يا والدي ؟  
أجاب في برود :

— أعني أنني سأبحث لك منذ الغد ، عن زوج من  
المهارة .





ذهب (حامد) إلى عمله في اليوم التالي ، وكذلك فعلت (راوية) .. والتفيا ..  
ولكن لقاءهما هذه المرة كان مختلفاً ..  
كان (حامد) شاحب الوجه ثقيل الخطا ..  
وكانت (راوية) ذابلة واجهة ..  
لم يتقابلا بابتسامة متلهفة هذه المرة ..  
لم يتصافحا أو يتهامسا ..  
جلس كل منهما في مواجهة الآخر صامتاً ..  
التفت عيونهما في أمسى وعذاب ..  
مضى وقت طويل قبل أن تهمس (راوية) في ألم :  
- ماذا نفعل ؟  
أجابها (حامد) في صوت نحيل كجسده :  
- لست أدري .  
ترقرقت في عينيها دمعة وهي تغتمم :  
- لن نسمح لهم بتفريقنا .  
هتف (حامد) :

- أريد أن أتزوجك يا (راوية) ، لن أحتمل فراقنا .  
أطرقت بوجهها في استسلام ، وهمت :  
- وأنا أيضاً يا (حامد) .  
ثم رفعت رأسها إليه بغتة ، وقالت في صرامة ،  
وكأنها قد اتخذت قرارها :  
- دعنا نتزوج يا (حامد) .  
حدّق في وجهها بدهشة ، وسألها :  
- ماذا تعنين ؟  
شمّلها حماس مفاجئ وهي تقول :  
- لن نمنعنا تقاليد لا شأن لنا بها ، أنت تريدني وأنا  
أريدك ، والزواج لا يحتاج إلا لموافقة الطرفين ، واثنين  
من الشهود .  
هتف في استنكار :  
- هل تعنين أن نتزوج على الرغم منهم ؟  
أربكها الاستنكار الواضح في عبارته ، فغمضت :  
- هذا إذا كنت تريدني حقاً .  
تأمل ملامحها لحظة في حنان ، ثم قال :  
- الزواج ليس مجرد شاهدين ، وورقة يكتبها مأذون

يا ( راوية ) .. إنه امتزاج بين رجل وامرأة .. امتزاج  
يشمل عائلتهما .. إنه استقرار وأمان .. إنه نبع حب في  
صحراء الحياة .

هتفت :

— هذا لو أن الحياة تسير وفقاً للقوانين التي وضعها  
خالقها ، لا حينما يظن البشر أنهم أكثر حكمة من خالقهم .  
شعر بالحنان وهو يتأملها ، ولكنه قال :  
— ينبغي أن نحاول أولاً .

سألته في حلق :

— هل تتوقع شيئاً من المحاولة ؟  
أجابها في صوت لم يقنعه هو :  
— ربما !

لوحت بكفها ، وقالت في حلق :

— لو أنك تتصور هذا فأنت واهم ، لن يغير الصعيد  
كله تقاليد من أجلنا ، هل تعلم ماذا أصاب الرجل  
الذي قرّر عدم الاشتراك في سباق الثأر بين عائلته ،  
وعائلة أخرى ؟ .. لقد نبذه الجميع .. احتقرته عائلته ،  
وطردته من أرضها ، واحتقرته العائلة الأخرى بوصفه

\*\*\*\*\* ١٢ \*\*\*\*\*

جباناً ، خاف على نفسه من القتل .. استولى أشقاؤه على  
أرضه ، ولم يجرؤ على استعادتها .. لقد حطموه لجرّد أنه  
سلك السبيل الصحيحة « ورفض تلك العادة البربرية .

استمع إليها في هدوء ، ثم قال :

— هذا هو السبب نفسه « الذي دفعني لرفض فكرة  
الزواج « على الرغم من رفض والدك .  
مطّئت شفتيها غاضبة ، فأردف في هدوء :  
— هل لديك فكرة عما سيكون رد الفعل ، لو أننا  
فعلنا ذلك ؟

هتفت في عناد :

— فليذهبوا إلى الجحيم .  
استطرد وكأنه لم يسمع اعتراضها :  
— سيقتلونك .

شحب وجهها ، وهي تحلق في وجهه مغنمة :  
— يقتلونني ؟ !

أوما برأسه مؤمناً ، وقال :

— هذا أول ما سيفعلونه ، ستعتبر كل عائلة منهما أننا قد  
أسبغنا عليها العار ، وستحاول كل منهما غسل عارها بالدم .

\*\*\*\*\* ١٣ \*\*\*\*\*



نعمت وهي تحاول طرد الفكرة من رأسها :

— من المستحيل أن يقتلني والدي .

أجاب في حزن :

— ربما منعه رحمة الأبوة من ذلك ، ولكن أشقاءه

سيفعلون « بل ربما قتلوه هو الآخر لو عارض ذلك .

أفزعتها فكرة مصرع والدها من أجلها ، فعاد اليأس

يملاً أعماقها ، وهي تقول :

— ألا من فائدة إذن ؟

تأملها في حنان جارف ..

فاض نبع الهوى في أعماقه بحبها ..

ود في هذه اللحظة لو أنه أطاع رغبتها ، وتزوجا ..

لم يكن يخشى انتقام عائلته منه ، ولكنه يرتعد لفكرة

أن يمس أحد أفراد عائلتها شعرة واحدة منها ..

كان حبه لها قد بلغ حدًا ، يجعل حرمانه منها أفضل من

عذابها معه في رأيه ..

ساد الصمت بينهما طويلاً ، ثم نألت في رأسه فكرة مفاجئة .

عجب لنفسه « كيف لم يفكر هكذا من قبل ..

هتف في لهفة :

\*\*\*\*\* { { \*\*\*\*\*

— أخبريني يا ( راوية ) .. هل يرفض والدك زواجنا

كبدأ ، أم أنه يخشى ما سترتب عن ذلك أمام عائلته ؟

تطلعت إليه ( راوية ) في دهشة « وأجابت :

— أعتقد أن خوفه من غضب عائلته هو السبب الرئيسي .

شملته موجة مفاجئة من الحماس ، وهو يقول :

— هذا عظيم ، فني هذه الحالة لدى حل لمشكلتنا .

انسابت اللفتة إلى أعماقها مع فيض من الأمل وهي تسأله :

— ما هو ؟

ازدرد لعابه « وكأنما جفأ الانفعال ريقه ، وقال :

— كلانا مرشح لبعثة دراسية في ( لندن ) مع نهاية

العام الحالي ، ويمكننا أن نقنع والدك بالموافقة على زواجنا

هناك « حيث يمكننا الاستقرار والبحث عن عمل بعيداً

عن تلك التقاليد .

تبدى الشك في ملامحها ، وهي تقول :

— لا أعتقد أنه سيوافق على مثل هذه الفكرة .

هتف في حماس :

— إنها محاولتنا الأخيرة يا ( راوية ) ، ولا بد لنا من

عرض الفكرة على والدك .

\*\*\*\*\* { ٥ \*\*\*\*\*

صمت لحظة ، ثم عاد يردف في صوت خافت :  
 - من يدري ؟.. ربما نحرَّكت مشاعر الأبوة وحنانها  
 في أعماقه ، ووافق على هذه الفكرة .  
 تطلعت إليه في حيرة وتردد ..  
 كانت فكرة العيش دوماً خارج مصر تضايقها ،  
 ولم تكن تتوقع أن يوافق والدها بعناده وصرامته على مثل  
 هذه الفكرة ..  
 شعرت أنها لن تجرؤ حتى على عرض الفكرة عليه ،  
 ولكن حبها له ( حامد ) كان أكبر من ترددها وخوفها ،  
 فقالت في حزم :  
 - ليكن .. لن يضيرنا عرض الفكرة على الأقل .  
 استمع إليها والدها في جمود وهي تشرح فكرة (حامد) ..  
 لم يحاول مقاطعتها مرة واحدة وهي تتكلم ..  
 انتظر حتى انتهت ، ثم قال في برود :  
 - هذا أحق حديث استمعت إليه في حياتي .  
 قالت ( راوية ) في إصرار :  
 - إنها الفكرة الوحيدة لمحاربة تلك التقاليد البالية و....  
 انفجر والدها فجأة :  
 - كفى .

ارتجف جسدها وهي تحدق في وجه والدها ، الذي  
 تحول فجأة من البرود إلى الثورة وهو يصرخ في وجهها :  
 - يبدو أنني قد أخطأت بالاستماع إليك منذ البداية ،  
 هأنذا تأتيني بفكرة حقيرة خرقاء ، تكللني بالعار  
 ما بقي لي من العمر .  
 غمغت في ضعف :  
 - أبي ..

لم يبال بالألم الرنان في صوتها ، وهو يواصل صراخه  
 الغاضب :

- أي ابنة هذه ، التي تطلب من أبيها الموافقة على  
 فرارها مع حبيبها إلى بلد آخر ؟.. هل تريدني مني أن أزوج  
 ابنتي الوحيدة على هذا النحو ، كما لو كانت ساقطة  
 أو خاطئة نتشر على زواجها ..  
 تراجعته وانكشت في مقعدها أمام ثورته العارمة ،  
 وهو يستطرد :

- إنني أرفض هذا الزواج ، وأقف في وجهه ..  
 إنني أرفض أن تجبرني ابنتي على مخالفة تقاليدى ، وإلباسي  
 ثوب العار في حياتي ..



ارتعدت ( راوية ) أمام الغضب الهائل المرسم على وجه والدها ، وهو يقترب منها قائلاً :

— ليس هناك سوى سبيل واحدة لإنهاء هذه المهزلة .  
ثم انتصب ، وعقد ذراعيه خلف ظهره ، وجاء صوته بالغ القسوة ، وهو يقول :

— سنسافر الآن إلى ( دشنا ) ، وستزوجين ابن أخي الحميس القادم .

صاحت في ذعر :

— كلاً يا أبى .

صرخ في صرامة :

— إننى لا أطلب رأيك ، لقد سبق لعمك أن طلبك لابنه ، ولكنى احترمت رأيك حينذاك ، وطلبت منه تأجيل الأمر ، أما الآن فساطلب منه أن يتم الزواج على وجه السرعة .  
تفجرت دموعها تلهب خديها بنار العذاب ، وهى تقول فى توسل :

— لا تفعل بى هذا يا أبته .

حسم والدها النقاش فى صرامة :

— ستزوجين ابن عمك ، أو أقتلك بيدى هاتين .

\*\*\*

## ٦ - لبيك حبيبتي ..

لم يذق ( حامد ) طعم النوم هذه الليلة ، حاول ولكنه لم يستطع ..

ظل طول الليل يفكر فيما سيفعله والد ( راوية ) ، عندما تخبره باقتراحه ..

كان مقتنعاً تماماً بهذا الاقتراح ، عندما أخبر به ( راوية ) فى الصباح ، أما الآن وقد رقد وحده فى فراشه ، وسط صمت الليل وهدوئه ، فقد بدا له الاقتراح نفسه شديداً السخف ..

لو أنه فى مكان والد ( راوية ) لرفضه على الفور ، ولعن من اقترحه ..

أقلقت هذه الفكرة حتى أنه نهض من فراشه ، وأخذ يروح ويحيى فى توتر بالغ ، داخل حجرة نومه ..

ودّ فى هذه اللحظة لو استطاع أن يذهب إلى ( راوية ) ، ويعتذر لها عن اقتراحه الأحمق ..

انتابه شعور عميق بالذنب ، وتغنى لو أنها خافت أن تخبر أبيها بالأمر ..

ظل الشعور بالقلق والتدلم يراوده حتى ذهب إلى  
المعمل في الصباح التالي ..

بحشت عيناه عنها طويلاً ، وارتجف قلبه حينما تأخرت  
لأول مرة عن موعد حضورها ..

مضت به الدقائق كالدهر ، طويلة بطيئة حتى انتصف  
النهار ، ومع كل دقيقة تمر كان شعوره بالذنب يتضاعف ،  
وقلقه يتعاظم ..

لم يستطع الاحتمال عندما دقت الساعة تمام الثانية عشرة  
ظهراً ، فحصل على إذن بالانصراف مبكراً ، وأسرع إلى  
منزل ( راوية ) ..

صوّر له جزعه وهو في طريقه إلى منزلها أن والدها  
قد قتلها ، حينما أخبرته بما ينشويان ..

دق قلبه في عنف وهو يتصوّر ذلك ..

لم يعد يخشى غضب والدها .. لم يعد يهاب ثورته ..

أنساه قلعه على ( راوية ) كل شيء في هذا العالم ..

شعر في أعماقه بثورة على التقاليد البالية ، والعصية

القائلة ..

قفز من سيارة الأجرة التي أقلته إلى أمام منزلها تماماً ،

وصعد إلى منزلها قفزاً ، وتصاعدت ضربات قلبه وهو  
يدق باب منزلها .

عاود دق الباب أكثر من مرة دون أن يتلقى جواباً ،  
فتحوّل قلقه إلى هلع ، وانقلب قلقه إلى رعب ، وأسرع  
إلى بواب المنزل يسأله :

— أليس هناك من أحد في منزل الأستاذ ( إبراهيم  
الحواري ) ؟

أجابه البواب في خمول :

— لقد سافروا أمس يا سيدي .

عاد يسأله في عصبية :

— سافروا إلى أين ؟

أجابه البواب بنفس الخمول :

— لست أدري .. لم يخبرني أحد .

ثم رفع إليه عينيه الباردتين ، وسأله :

— ما اسم سيادتكم ؟

أجابه ( حامد ) في يأس :

— ( حامد الليثي ) .



ابتسم البواب ابتسامة واهنة ، وهو يقول :  
- آه .. لقد تركت لك السيدة الصغيرة خطاباً .

هتف (حامد) في لهفة :  
- أين هو ؟

أخرج البواب الخطاب من جيبه في هطء وتراخ ،  
وقال وهو يغمز بعينه في إشارة ذات معنى :  
- ها هو ذا .. لقد أعطتني السيدة الصغيرة إتياء سرّاً ،  
وطلبت مني تسليمه لك عندما ....

اختطف (حامد) الخطاب في لهفة ، دون أن يبالي  
بسماع باقي عبارة البواب الخبيثة ..  
أفكار شتى تصارعت في رأسه ، في اللحظة القصيرة  
التي مضت بين تناوله الخطاب ، وفضّه لغلافه ..  
كانت هذه هي المرة الأولى التي يتلقى فيها خطاباً من  
(راوية) ..

حتى في أيام الإجازات ، التي كانت تفرقهما طويلاً  
أيام الدراسة ، لم ترسل إليه أية خطابات -  
أمسك الخطاب بأصابع مرتجفة ، والتهم كلماته في  
لهفة وقلق ..

كانت (راوية) تقول في خطابها :  
« حبيبي (حامد) :

لست أدري كيف أخبرك بهذا الأمر ، فأنا لم أفق  
بعد من دهشتي ، وصدمتي .. لقد اختلست لحظات قصاراً  
لأكتب لك هذا الخطاب في سرعة .. لقد أصرّ والدي على  
سفرنا فوراً إلى (دشنا) ، بعد أن رفض اقتراحك رفضاً  
عنيفاً ، هل تدرى لماذا نساfer إلى هناك ؟. لأن والدي  
قرّر أن يزوّجني لابن عمي .. لقد صدمك الخبر بالطبع ..  
أنا أيضاً شعرت بالذهول وأنا أسمع هذا منه ، فالأمر  
يبدو أشبه بفيلم هابط من أفلام الدرجة الثالثة ، ولكنه في  
هذه المرة حقيقة .. حقيقة أن رغم فتاة حاصلة على  
بكالوريوس الصيدلة بتقدير امتياز ، وتعمل عضوة  
هيئة تدريس في الجامعة ، على الزواج من رجل ، لم نره  
مرة واحدة في حياتها بأكملها .. هل يصدق أحد أن يحدث  
هذا في القرن العشرين ؟.. هل يصدق إنسان أن تنتهي  
قصة حب عظيمة كقصتنا على هذا النحو السخيف ؟

حبيبي ..

وداعاً يا أول وآخر من أحيت .. وداعاً يا حلم  
حياتي .. وداعاً يا آمالي وأحلامي .. لا تحاول التدخل في  
هذا الأمر ، فلو أنك وطئت أرض (دشنا) ، فتصبح كمن  
يلقى بنفسه في فم الأسد ، وأنا لا أحب أن يلقي حبيبي  
حتفه برصاصة غادرة ، تنطلق من وسط الحقول ،  
استجابة لتقاليد مخيفة ، نبذها العالم أجمع منذ غادر العالم  
عصور التخلف ، وارتضى العيش في مجتمعات متقدمة ..  
وداعاً يا حبي .. وداعاً إلى الأبد .. ( راوية )  
شحب وجه ( حامد ) وهو يقرأ الخطاب ، وترددت  
في عقله كلمة واحدة ..

مستحيل أن يحدث هذا .. مستحيل أن يفقد حبيته  
هكذا ..

كان يدرك خوفها عليه ، ورغبتها في تجنبه المخاطر ،  
ولكنه لمع في خطابها نداء لم تفصح عنه الكلمات ..  
نداء يتوسل إليه أن يسى لإنقاذها من هذا العذاب  
اللانهاي ..

صرخ في أعماقه :

— لييك حبيتي .. لبيك بأمل حياتي ، يانبع حبي الصافي .

ظلت هذه الصرخة تعربد في أعماقه ، والقطار ينهب  
به الأرض إلى ( دشنا ) ..

صرخة نصاعدت وهو يقترب من هدفه ، بعد اثنتي  
عشرة ساعة من السفر المتواصل ..

لم تتوقف الصرخة في أعماقه ، وهو يخطو بقدميه على  
أرض بلده ، ولا هو يسير في سرعة نحو منزله ..

استقبله شقيقه ( أبو الوفا ) في سعادة ، واحتضنه وهو  
يهتف في فرح أخوي صادق :

— مرحباً بك في دارك يا شقيقي العزيز ..

التف إخوته حوله يعانقونه ويصافحونه ، وهو شارد  
الفكر ، والانتباه ، إلى أن قال لأخيه الأكبر في لهجة  
توحى بخطورة الأمر :

— أريد أن أتحدث إليك وحدنا يا ( أبا الوفا ) .

نظرة صارمة واحدة من عيني ( أبي الوفا ) ، خلت  
بعدها قاعة المنزل تماماً ، إلا منه ، ومن ( حامد ) .  
ثم استدار ( أبو الوفا ) إلى شقيقه وسأله :

— حسناً يا ( حامد ) .. ماذا تريد ؟

سأله ( حامد ) في اهتمام ولطفة :



— أين منزل عائلة (إبراهيم الهواري) ؟

ظهرت الصرامة في وجه (أبي الوفا) ، وقال في حق :

— هذا ما أتى بك إذن ؟.. لماذا ترغب في زيارة هؤلاء

الحثالة ؟

عاد (حامد) يسأل شقيقه في صرامة مماثلة :

— أين يقيمون يا (أبا الوفا) ؟

صاح (أبو الوفا) في غضب :

— ماذا تريد منهم ؟.. هل ستزجهم أن يتوسطوا لك

عند (إبراهيم الهواري) ، ليقبل زواجك من ابنته ، أم ... ؟

بئر (أبو الوفا) عبارته فجأة ، واتسعت عيناه وهو

يستطرد في جزع :

— أم أن (إبراهيم الهواري) قد جاء بابنته إلى هنا ؟

قال (حامد) في لهجة أقرب إلى الضراعة :

— أرجوك يا (أبو الوفا) ، سيزوجونها ابن عمها لو لم...

قاطع (أبا الوفا) في حدة :

— لو لم ماذا ؟.. هل ستتوسل إليهم ألا يفعلوا ؟

صاح (حامد) في غضب :

— هل تريد مني أن أقف ساكناً وأتركهم يزوجونها لباة.

أشاح (أبو الوفا) بوجهه ، قائلاً :

— ابن عمها أجدر بها .

ارتعد جسد (حامد) من شدة الغضب وهو يصيح :

— أليس لك قلب ؟.. ألا تدري ما هو الحب ؟

استدار إليه (أبو الوفا) ، وقال في صرامة غاضبة :

— بل أعرفه أيها الأخ العاق.. أعرفه ، لأنني أحبك ،

وأحب عائلتي ، وأحب لها دوماً العزة والكرامة ،

ولا مبرر لكل ما أفعله سوى الحب ، فأنا أشفق عليك أن

تحمل هذا العار فوق كتفك ، وأن تحمل عائلتك مثله ..

لقد تربيت أنت في القاهرة منذ نعومة أظفارك ،

ولا يمكنك أن تقدر عواقب العمل الذي تزمع الإقدام

عليه .. إن (إبراهيم الهواري) لن يزوجك ابنته ،

ولو أعطيته أموال الدنيا مهراً لها ، وحتى لو فعل ، ستنبذه

عائلته ككلب أجرب ، ولن يجرؤ واحد منا على رفع

وجهه في وجه أي من أفراد عائلتنا ، سيكللوننا بالعار ،

ما لم نقتلك حتى تعود رؤوسنا للارتفاع مرة أخرى ..

هل تحب أن ينهي الأمر على هذه الصورة ؟

صاح (حامد) في عناد :

— لست مسئولاً عن تمسككم بتقاليد بالية .

هتف (أبو الوفا) في غضب :

— أنت مسئول ما دمت تحمل لقب العائلة .

— سأنتزع هذا اللقب يا (أبا الوفا) .. هل يرضيك

ذلك ؟

— سأقتلك لو فعلت ، أمتبرأ من عائلتك من أجل

امرأة ؟

— ألا يمكنك أن تتصور أن تزويجها على هذه

الصورة ، يعد جريمة اجتماعية ودينية ؟

— الهوارة هم المسئولون عن هذه الجريمة ، لا نحن .

— وأنا لن أقف ساكناً .. سأنقذها من هذه الهوة

مهما كان الثمن .

انتزع (أبو الوفا) سلسلة الضخم ، الذي يحمله

دوماً ، وشهره في وجه شقيقه ، وهو يقول في صرامة :

— سأقتلك لو لم تراجع عن حماقتك هذه .

صاح (حامد) وهو يواجه شقيقه في شجاعة :

— افعل يا (أبا الوفا) .. أنك لن ترهني هذه المرة ،

\*\*\*\*\* ٥٨ \*\*\*\*\*

فخبر لي أن أريق دمي وأنا أحاول إنقاذ من أحببت ، من

أن أقف ساكناً حتى أراها وهي تساق إلى مذبحه التقاليد البالية .

أرتج على (أبي الوفا) وهو يرى هذا الموقف الصلب

من شقيقه ..

لم يكن يتوقع يوماً أن يقف منه شقيقه الأصغر موقف

المعاند المتحدى ..

كشف في هذه اللحظة أن الدم الذي يجري في عروقه ،

هو نفسه الذي يرغب في إراقته من جسد أخيه ..

كشف أنه لن يجرؤ على إطلاق النار ، فخفض

مسلحه ، وقال في غضب :

— لو ذهبت إلى هناك ، فلا تعد إلى هذا البيت مرة ثانية .

قال (حامد) في صرامة :

— حسناً يا (أبا الوفا) .. لأنني أقبل هذه الصفقة .

قال عبارته في حزم ، ثم غادر منزل عائلته ، وانطلق

يبحث عن منزل عائلة حبيبته ، وفي صدره ترددت

الصرخة ذاتها :

— ليك حبيبتي .. ليك .

\*\*\*

\*\*\*\*\* ٥٩ \*\*\*\*\*



يا لهذا النعاس السخيف ١١

لقد بدأ يتسلل إلى أجفاني قبل أن أنتهى من قصتي ..  
لا بد لي من أن أسرع في كتابة ما تبقى من القصة ،  
قبل أن أعجز عن حمل قلبي ، وخط ما بقي من الحكاية ..  
لم تكن ( راوية ) تعلم شيئاً عن وصول ( حامد ) إلى  
( دشنا ) ..

كانت حبيسة هناك مع نساء العائلة ، حيث لا يصرح  
للرجال برؤيتهن ، أو التحدث إليهن ..  
هل أدهشكم هذا ؟ .. إنه الحقيقة للأسف ، فالهواة  
يختلفون عن سائر القبائل الأخرى في صعيد مصر في هذه  
النقطة بالذات ..

لأنهم يفرضون على نساءهم عزلة كاملة ، من المهد إلى  
المهد ..

المرأة عندهم عار لا بد من إخفائه ..

قد يقضى الرجل عمره كله دون أن يرى زوجة  
شقيقه أو بناته ..

والعجيب فيهم أن هذه القيود تختفى تماماً خارج بلدتهم.  
تماماً كما حدث مع ( إبراهيم الهواري ) ، فإقامته في  
القاهرة تمنحه امتيازاً خاصاً .. فباستطاعته أن يلحق ابنته  
بالمدارس ، وأن يسمح لها بالخروج والتجوال والعمل ،  
ولكن هذا محظور عليها تماماً لو وطئت بقدمها أرض  
بلدتها ..

منطق عجيب ، ولكنها التقاليد مرة أخرى ..

عاشت ( راوية ) يوماً كاملاً وهي تتأمل نساء الهواة  
في دعر ..

انكششت تماماً ، وهي تتصور نفسها تحيا في هذا السجن  
الأبدى ..

وكان لهذا اليوم عليها تأثير عجيب ..

لقد نحلت كثيراً ، وذبل بريقها تماماً ، كزهرة  
انتزعت من منبتها ، وألقي بها تحت شمس محرقة ، في  
صحراء جرداء ..

أمها أيضاً أصابها الكثير من الجزع والألم والحزن ،  
ولكنها لم تجرؤ على الاعتراض ..

لم نجد فيه أملاً أو جدوى ، فلزمت الصمت والعزلة ،  
وقلبها يتمزق حزناً لما أصاب ابتها ..

عاشت ( راوية ) يوماً ذاقته فيه العذاب ألواناً ..

عذاب النفس والروح والجسد ..

لم تتصور أن تحيا العمر كله في هذا العذاب .. إلا إذا  
كان العمر قصيراً ..

سيطرت عليها فكرة العمر القصير ، وملكتمشاعرها  
وتفكيرها ، دون أن تدري أن والدها كان يستقبل حبيبها  
في اللحظة ذاتها ..

سأنت المواجهة عجيبة هذه المرة ..

عجيبة ، ومذهلة للجميع ..

كانت المرة الأولى ، التي يزور فيها واحد من أبناء  
عائلة ( الليثي ) منزل عائلة ( الهواري ) ..

ولكن تقاليد الصعيد ، كانت تقتضي أن يقابل ( حامد )  
بترحاب شديد « وحفاوة بالغة في منزل عائلة ( الهواري ) ..

هذا هو الجزء الحسن من تقاليد الصعيد ، فليست هي  
كلها بالية ، أو سخيفة ..

\*\*\* ٦٢ \*\*\*

الرجل في الصعيد يمكنه أن يطرق منزل خصمه ،  
ويجلس فيه معزّزاً مكرماً ، حتى وإن كان بينهما ثأر ودم .  
يمكنه أن يقيم أيضاً لثلاث ليال ، وينام ملء جفنيه  
في منزل خصمه .. والأعجب أن هذا الخصم نفسه يحمل  
إليه الطعام والشراب « بل يحميه من كل ما يمكن أن  
يسوء إليه حتى ينصرف من عنده ، ثم قد يقتله في اليوم  
التالي بلا رحمة ، لتحقيق الثأر بينهما ..

هذه التقاليد أيضاً موجودة في الصعيد ، إلى جوار  
التقاليد الأخرى ..

وهكذا استقبل ( إبراهيم الهواري ) ( حامد ) في  
ترحاب وحفاوة ، وإن لم يستطع إخفاء دهشته لهذه الزيارة ،  
وأطباع الجميع مطلب ( حامد ) ، حينما طلب الاختلاء  
بـ ( إبراهيم ) ، وما أن تحققت لها الخلوة ، حتى قال  
( حامد ) :

— إني أتقدم لك مرة أخرى بطلب يد ابنتك ياسيدي .

أجابه ( إبراهيم ) في برود :

— يؤسفني أن أرفض يا ولدي ، لقد خطبت ( راوية )

لابن عمها ، وسيتم زفافهما بعد ثلاثة أيام .

\*\*\* ٦٣ \*\*\*



هتف (حامد) في ضراعة :

— ولكن هذا يخالف رغبتها يا سيدي ، والشرع نفسه يقتضي موافقة الزوجة .

أجاب الرجل في هدوء :

— بل هي موافقة .

عقد (حامد) حاجبيه « وقال في عناد :

— لا بد أن اسمع هذا منها .

ظهر الغضب على وجه الأب ، وقال في صرامة :

— ليس هذا من حقك ، ونساء الهوارة لا يقابلن أحداً .

نسى (حامد) أنه داخل منزل الهوارة ..

نسى الخصومة الدائمة بين عائلته وعائلتهم ..

كان حبه لـ (راوية) أكبر من أن يستسلم للخوف

أو الخذر ، فقال في عناد وإصرار :

— لن يكون هذا الزواج شرعياً ، ما لم توافق هي ،

ولن أتوقف عن محاولة طلب زواجها ، إلا إذا سمعت

موافقتها على الزواج من ابن عمها بأذني .

تأمله الوالد لحظة في غضب ، ثم قتل شاربه الضخم .

وقال في هدوء :

— ليكن .. ولكنك ستسمعها من خلف ستار .

قال (حامد) في إصرار :

— حسناً ، فلن أخطئ صوتها ..

نهض الوالد ، وقال في صرامة :

— انتظر هنا إذن .

دهشت (راوية) حينما طلب والدها رؤيتها ، ولكنها

أطاعت ، وذهبت إليه في حجرته صاغرة مستسلمة ،

وامتقبلها هو ببرد كانت تتوقعه ، ولكنها لم تكن تتوقع

عبارته الأولى ، والتي ارتجف لها جسدها ، عندما قال :

— (حامد) هنا .

ظلت محمدق في وجه أبيها لحظة ، ثم غمغمت في

صوت متحشرج ، لم تستطع إخفاء رنة السعادة منه :

— هنا في (دشنا) ؟

أجابها والدها في صرامة :

— بل هنا في المنزل .

رقص قلبها طرباً ، وهي تقول :

— هل جاء إلى هنا ؟

أجابها الوالد مرة ثانية في صرامة :

— جاء يطلب يدك .

لم تصدّق كلمات والدها في البداية ، ثم اختلج قلبها  
بين ضلوعها في سعادة ، لم تعرف مثيلاً لها من قبل ..

هل بلغ حبّ ( حامد ) لها هذا الحدّ ؟ ..

هل بلغت لهفته إليها حد أن يخاطر بولوج منزلها ،

وطلب يدها وسط المواجهة ؟ ..

كم شعرت بحبها له هذه المرة .. !!

كم شعرت بفيض الحبّ الذي يكنه لها .. !!

ولكن سعادتها لم قدم ، وفرحتها لم تكتمل ، حينما

قال والدها في صرامة :

— ستأتين معي ، وتخبرينه أنك ترفضينه ، وأنتك

تتمسكين بابن عمك زوجاً .

اتسعت عيناها ذهولاً ، وهضت في جزع :

— ماذا تقول يا أبتاه ؟

اقترب والدها منها ، ووضع كفه على كتفها الرقيق ،

وقال في هدوء :

— استمعي إلى يا ابنتي .. إن ما أطلبه منك هو الحل

الوحيد ، الذي يضمن بقاء ( حامد ) على قيد الحياة .

شبهت في ذعر وهي تهتف :

— ماذا تعني يا أبي ؟

أجابها في حنان بدا لها طبيعياً :

— ألا تعلمين تقاليد المواجهة يا بنيتي ؟ .. لو أن

( حامد ) أصرّ على الزواج منك ، فسيقتله أبناء عمومتك ..

لن يسمحوا له بالبقاء على قيد الحياة ، فطلبه الزواج منك

سيعد في نظرهم جريمة لا تغتفر ، وأنا أحاول الحفاظ

عليكما معاً .

انسالت دموع الألم من عينيها غزيرة ، وهي تغغم :

— لماذا نبيع سعادتنا بسبب تقاليد كهذه يا أبتاه ؟

أجابها في حزن ممائل :

— هذا قدرنا يا بنيتي .

صرخت في ألم :

— كلا يا أبي ، لا تلم القدر ، فلا دخل له فيما

نفعل .. نحن وحدنا الملمومون .

ربّت الأب على كتف ابنته في حنان ، وقال في

صوت خافت :

— هيّا بنا يا بنيتي .

سارت إلى جواره كشاة تقاد إلى المذبح ..

لم تشعر بجسدها وهي تقف خلف باب دار الضيافة ..  
بكت كثيراً وهي تسمع (حامد) يسأل أباها في لفحة :  
— هل أحضرتها ؟

أجابه الوالد في برود :

— إنها خلف الباب ، يمكنك التحدث إليها ، ولكن  
حذار أن تحاول رؤيتها ..

اقترب (حامد) من الباب وهو يرتعد انفعالاً ..

كان منلهفاً لسماع صوتها ، ومداعبة أذنيه به ..

اقترب وهو يرتعد من فرط الانفعال ، ونغم في لفحة :

— كيف حالك يا (راوية) ؟

جاءه صونها الناعم الرقيق عملاً بالأحزان ، وهي تقول :

— في خير حال يا (حامد) .. كيف حالك أنت ؟

زجر الوالد ، وهو يقول في صرامة :

— لستما هنا لتبادل التحيات ، سلها ما تريد في سرعة .

ازدرد (حامد) لعابه لحظة ، ثم سأها :

— هل توافقين على الزواج من ابن عمك يا (راوية) ؟

اختنقت الكلمات في حلقها طويلاً ..

\*\*\*\*\* ٦٨ \*\*\*\*\*

تصوّرت لحظة أنها لن تقدر على نطق هذه الكلمة ،  
التي ستعظم قلبه حتماً ، ولكنها لم تلبث أن تخيلت صورته  
فتيلاً ، يروي بدمه قصة حبهما ، فقالت في نفسها :

— ساعني يا حبيبي .. إنما أفعل ما أفعل من أجلك .

ثم استجمعت حروف الكلمة ، وقالت في صوت  
مختنق :

— نعم أوافق يا (حامد) .

تراجع (حامد) في ذهول ، وهتف في جزع :

— لا ريب أنهم قد أكرهوك على هذا القول ..

أخبريني الحقيقة يا (راوية) .

اختنق صوتها بالبكاء وهي تهتف :

— بل أوافق بمحض إرادتي يا (حامد) ، أقسم لك

أنني لا أكذب .. وداعاً يا (حامد) .. وداعاً ..

وفي صدرها صرخ الحب الجريح :

— وداعاً يا حبيبي .. وداعاً .

\*\*\*

\*\*\*\*\* ٦٩ \*\*\*\*\*



ثلاثة أيام مرّت منذ ذلك الحدث ..

ثلاثة أيام شعر فيها (حامد) بحزن لم يشعر بمثله من قبل ، وانفطر فيها قلبه ، حتى خيل إليه أنه لم يعد ينبض بين ضلوعه ..

جفّ نبع الحبّ في أعماقه ، ولكن الكراهية لم تعرف طريقها إلى قلبه أبداً ..

ما زال يذكر تلك اللحظة التي غادر فيها منزل عائلة (الهوّاري) ، خائباً مدحوراً ..

كان يسير يومئذ كذبيح سالت دماؤه ، ولم يعد لديه سوى انتفاضة الموت الأخيرة ..

سار على غير هدى ، فقادته قدماءه إلى محطة القطارات .. كان يعلم أنه لم يعد أمامه سوى العودة إلى القاهرة ، بعد أن استسلمت حبيبته لقلرها ، ولم يعد من حقه العودة إلى منزل عائلته ، طبقاً للاتفاق التي أجراه مع شقيقه (أبي الوفا) ..

كانت مفاجأته التالية ، هي أنه وجد (أبا الوفا) ينتظره على رصيف المحطة ..

لم تفقد عينا (أبي الوفا) صرامتهما ، وإن خلت كلماته منها ..

لقد استقبله في هدوء ، وربّت على كتفه قائلاً :  
- هيا نعد إلى المنزل يا (حامد) .

حدّق (حامد) في وجه أخيه يومئذ بدهول ، وعمغم :  
- ألم نتفق على .. ؟

قاطعه شقيقه في برود :

- لقد كشفت أن الدماء التي تجري في عروقنا تمنعني من الإساءة إليك ، ثم إن (إبراهيم الهوّاري) سيحتفظ حتماً بالأمر سرّاً .

ثم أردف وهو يقود (حامد) في هدوء :

- ومنزل عائلتك هو المكان المناسب لك الآن ..  
حكمة بالغة ، تلك التي دفعت (أبا الوفا) إلى هذا الإجراء ..

لقد احتفظ برغبة أخيه سرّاً عن الجميع ، لأنه كان يعلم ما سينتهي إليه الأمر ..

كانت ثقته بالتقاليد لا حداً لها ، حتى أن استنتاج النتائج لم يعد بالأمر العسير بالنسبة إليه ..

ثم إنه كان يخشى عودة (حامد) إلى منزله الخالي ،  
وهو يحمل في قلبه كل هذا الحزن والفشل ..  
هداه عقله إلى أن أفضل وسيلة لمنع (حامد) من  
الإقدام على أى تصرف أحمق ، هى أن يبقيه أمام عينيه ..  
كان يتصور أنه سينجح فى إخراج (راوية) من قلب  
(حامد) ، بإحاطته بكل وسائل الراحة والتسلية ..  
ولكنه لم ينجح ..

إن (حامد) لم ينس (راوية) لحظة واحدة ، طيلة هذه  
الأيام الثلاثة ..

لم ينسها حتى وهو يقف فى شرفة منزل عائلته ،  
ويتأمل فى حزن مستسلم ، تلك الأصواء الملونة ، التى  
ازدان بها منزل عائلة (الهورارى) ، ولا تلك الأصوات  
المرحة ، والموسيقى المتصاعدة هناك ، احتفالاً بزفاف  
(راوية) إلى ابن عمها ..

(راوية) .. ذلك الحب العظيم ، الذى ارتوت به  
حياته لسته أعوام كاملة ..

ذلك النبع الذى أفاض فى قلبه الحب والخنان والراحة ،  
منذ التقي بها لأول مرة ..

تساءل فى غضب عن قوة هذه التقاليد ، التى تحكم  
حياة البشر ، بعيداً عن العقل والعاطفة والحياة .  
انتابته فى تلك اللحظة رغبة قوية فى التخلص من حياته ..  
كان يشعر أن (راوية) تساق كالذبيحة إلى قدر  
ترفضه ، وحياة تأبأها ..

لم يكن هذا شعوره وحده فى هذه اللحظة ..  
كان شعورها أيضاً ..

كانت تجلس صامتة واجمة ، لا تسمع تلك الزغاريد  
التي انطلقت حولها من أفواه نساء العائلة ، ولم تشعر  
بالفتيات اللاتي يعدرنها ويزيئنها لزوجها المقبل ..  
لم تر حتى وجهها فى المرأة ، التى أجلسوها أمامها وهم  
يفعلون ..

كانت تعلم أن هذه الليلة ليست ليلة فرحها ، وإنما هى  
ليلة زفافها إلى السماء ..

هذا هو قرارها الذى اتخذته ، والذى نفذته منذ لحظات .  
لقد قرّرت ألا يمسها رجل غير (حامد) ..  
قرّرت ألا تكون إلا له ، أو للموت ..  
اتخذت قرارها فى حزم ، ونفذته أيضاً ..

لا أحد ممن حولها كان يعلم بقرارها ..  
لا أحد منهم كان يتصور أنها في هذه اللحظة تخطو  
نحو الموت ..

كن" يتصورن وجومها وشرودها يعودان إلى ذلك  
القلق الطبيعي ، الذي ينتاب العروس ليلة زفافها ..  
عجائز الأسرة وحدهن لاحظن أن هذا القلق غير  
طبيعي . قالت إحداهن على أذن الأخرى : وسألها :  
— ألا تلاحظين أن العروس حزينة ، لا ينبض قلبها  
بنبضة سعادة واحدة ؟

أجابتها الأخرى : بعد أن مطت شفيتها ، على نحو  
يوحى بعدم تقبلها لتصرفات فتيات القاهرة :  
— يبدو أن العريس لم يحز رضاها .

خبطت الأولى على صدرها ، وهي تقول في استنكار ،  
يحنى لفتها لمعرفة المزيد :

— لم يحز رضاها ؟ .. وهل ستجد من هو أفضل  
من ابن عمها ؟

أصدرت الثانية صوتاً ممطوطاً من بين شفيتها ، يوحى  
بالاستنكار ، وعادت تقول :

— هكذا فتيات القاهرة .. تصوّر أنهن يطلبن رؤية  
العريس قبل الزواج .

هتفت الأولى في استنكار شديد :

— يا إلهي .. يا للعار !!

ثم عادت تميل نحو الثانية ، وتهمس :

— هل هذا وحده سبب شحوبها ؟

مطت الثانية شفيتها ، وقالت :

— كلا .. يبدو أنها مريضة بعض الشيء . فقد

أرسلت صبيّاً صغيراً ، ليجتمع لها بعض الأدوية من صيدلية  
المدينة منذ قليل .

قالت الأولى في تفهم :

— هذا إذن ما تناولته منذ لحظات .

أومأت الثانية برأسها موافقة ، وكادت تنطق بعبارة

استنكارية جديدة ، لولا أن ارتفع صوت طلقات نارية

في السماء ، فجاءت بها النساء بزغاريد الفرح ، وهمست

العجوز لجاراتها :

— لقد وصل المأذون .

أرجفت العبارة قلب (راوية) ، وأسقطته بين قدميها ..



كانت تعلم أنها ستلقى ربها بعد وقت قصير ، ولكنها  
كانت تخشى أن يتم المأذون عقد الزواج قبل أن تموت ..  
كانت تخشى أن تموت وهي زوجة رجل آخر ،  
غير حبيبها ( حامد ) ..

وجدت نفسها تبتهل إلى الله ( سبحانه وتعالى ) أن  
يسرع بموتها ..

ومن العجيب أنها قد شعرت بالارتياح ، حينما بدأ  
رأسها يثقل ، وبدأت الرؤية تهتز أمام عينيها ..

عادت زغاريد النساء ترتفع ، حينما ولج اثنان من  
أعمامها قاعة النساء . ليسألاها موافقتها على الزواج ، كما  
يقضى الشرع ..

خيل إليها في هذه اللحظة أنهما صغيران لملك الموت ،  
جاءا ليشهدا زفافها إلى السماء ..

وقف الاثنان أمامها مبتسمين . وصألاها عما الأكبر في  
صرامة :

— هل توافقين على الزواج ؟

بدت صورته أمامها مهتزة ، مظلمة ..

ماذا أصاب هذا العالم ؟ ..

أيسألونها الموافقة على الزواج ، من رجل لا تعرف  
حتى اسمه ؟ ..

هل هان قدرها إلى هذا الحد ؟ ..

طالب صمتها ، فاخفت الابتسامة من وجهيهما . وعاد  
عنها يسألا . وقد اشتدت صرامته :

— أجيبي .. هل تقبلين الزواج ؟

هتف استنكار في أعماقها ..

لن أقبل الزواج .. بل لن أقبل الحياة كلها ..

نهضت في بطن ، وكأنها تأبى أن تموت متخاذلة ،

ولكن ساقاها عجزتا عن حملها ، فتهاوت فجأة تحت قدمي  
عميها ..

تحولت زغاريد الفرح فجأة إلى صرخات جزع ،

وارتجف قلب ( حامد ) وهو يسمع ذلك الصراخ ،

وتساءل في ذعر عما حدث ، ولم يطل تساؤله .. فالأخبار

تنطلق وتنتشر بسرعة في الأرياف ..

قبل أن تمضي خمس دقائق ، هبط عليه الخبر كالصاعقة :

— لقد انتحرت العروس .



دخلت مستشفى ( دشنا ) من الزائرين تقريباً ، في هذا الوقت المتأخر من الليل ، إلا من والد ( راوية ) ، وشقيقه والد عريسها المرتقب ..

كان ( إبراهيم الهواري ) يجلس صامتاً ساهماً ، وقد اختفت من عينيه صرامتهما ، وحل محلها حزن مختلط بحنان أبوي صادق ..

أما شقيقه ( سلامة ) فقد بدا على العكس ، غاضباً محنقاً .. كان ( سلامة ) يقول لشقيقه ، دون أن ينظر إليه :  
— كان من الخطأ أن تسرع بها إلى هنا .

نحمن ( إبراهيم ) في شرود :  
— ويحك يا أخي .. هل كنت تريد مني أن أترك ابنتي للموت ؟

قال ( سلامة ) في صرامة :

— لقد كانت تستحق ذلك .

هتف ( إبراهيم ) في استنكار :

— تستحق الموت ؟

صاح ( سلامة ) :

— بالطبع .. لقد أهانتني ، وأهانت ابني .. بل أهانت العائلة كلها بتصرفها هذا .

قال ( إبراهيم ) في ضيق :

— كفى يا ( سلامة ) .

لم ينبض عرق واحد في جسد ( سلامة ) بالرحمة أو الشفقة ، وهو يقول :

— لو أنها ابنتي لتركها تموت ، أو لقتلتها بيدي ، محواً

لهذا العار .

هتف ( إبراهيم ) في غضب :

— حمداً لله أنها ليست ابنتك .

هب ( سلامة ) واقفاً ، وقال في غضب شديد :

— فلتدع الله أن يفشل الأطباء في إنقاذها ، وأن تلتو

حضرها ، محواً لهذا العار ، وإلا فلا حديث لنا بعد اليوم .

ثم أردف ، وهو يشير إلى قاعة الانتظار الخالية إلا منهما :

— انظر حولك لتعلم أن هذا ليس رأيي وحدي .

إنه رأي العائلة كلها ، لقد رفضوا جميعاً مصاحبتك إلى هنا .

اختنق صوت (إبراهيم) ، وهو يغمغم :

— إنها ابنتي الوحيدة .

لف ( سلامة ) كوفيته حول رقبتة ، على الرغم من  
حرارة الجو ، وقال في صرامة :

— من الأفضل أن يشرق الصباح ، وأنت تضيف كلمة  
( كانت ) إلى عبارتك .

قال عبارته القاسية ، وابتعد بخطوات صارمة قوية ،  
ليترك شقيقه وحيداً في قاعة الانتظار ، الملحقة بقسم  
الطوارئ في المستشفى الصغير ..

كان قلب (إبراهيم) يكاد ينفطر في هذه اللحظة ،  
من الحزن والألم والندم ..

كان يشعر أنه المسئول الأول عما أقدمت عليه ابنته ..  
ولكنها التقاليد ..

هتف في هذه اللحظة ، في القاعة الخالية :

— ألا محقاً لهذه التقاليد !!

ثم عاد يغمّ شفّتيه ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد ، وهو  
يتفوه بهذه العبارة ..

كان يعلم أن صرامته تخفى قلباً مرهفاً حنوناً ..

\*\*\*\*\* ٨٠ \*\*\*\*\*

كثيراً ما أغلق على نفسه باب حجرة مكتبه ؛ ليبكي ألماً  
عما يفعله بابنته ..

ولكنها التقاليد أيضاً ..

إنه يعلم بحكم خبرته مدى الهوان الذي يتعرض له  
من يخالف تقاليد الصعيد . ويعلم أنه أضعف من أن يخالفها ..

تضاعف شعوره بالذنب والندم . فهتف من أعماقه :

— ساعدها يا إلهي !!

نفس هذا الهتاف تردّد من أعماق ( حامد ) داخل  
حجرة صغيرة في المستشفى ، حيث يجلس مع صديق  
طفولته الطبيب ( نادر ) ، الذي ربّت على كتفه قائلاً :

— اطمئن يا ( حامد ) .. إنها ستنجو ، لقد أكد لي  
الزملاء ذلك .

تطلع إليه ( حامد ) بعينين اختلط فيهما الشك بالأمل ،  
وغمغم :

— أحقاً ما تقول ؟

أجابه ( نادر ) في حماس :

— أقسم لك أنه صحيح .. لقد هرع بها والدها إلى هنا

\*\*\*\*\* ٨١ \*\*\*\*\*

( ٦ - زهور - النج الجاف - ٧ )



فور فقدانها لوعياها ، وأجرينا نحن لها غسلاً معويًا في  
الحال . وحالة نبضها وقلبها تؤكد أنها ستنجو .  
سالت دمة من عيني ( حامد ) ، وهو يسأله في صوت  
أقرب إلى الهمس :

— متى تستعيد وعياها إذن ؟

هز ( نادر ) كتفيه ، وقال :

— ساعتين على الأكثر .

تعلق ( حامد ) بلراع صديق طفولته ، وقال في  
ضراعة :

— أريد رؤيتها يا ( نادر ) .. أرجوك .

تردد ( نادر ) لحظة ، ثم قال :

— حسناً يا ( حامد ) .. متراها .

ثم غادر غرفته إلى قاعة الانتظار ، وقال للوالد :

— معلومة يا سيدي ، ولكتنا نريد توقيعتك على بعض

الأوراق .

انفض الأب فجأة . وكأنه يفيق من نوم عميق ،

وقال في جزع :

— أية أوراق ؟ .. هل .... ؟

\*\*\*\*\* ٨٢ \*\*\*\*\*

قاطعه ( نادر ) في هدوء :

— كلاً يا سيدي .. إنها بخير والحمد لله ، ولكنها  
أوراق خاصة بإقامتها في المستشفى ، وبعض الأمور الأخرى .  
تبعه الأب في خطوات مثقلة بالهجوم إلى حجرة  
جانبية ، ولم يكذ ( نادر ) يفتح الباب خلفهما ، حتى عبر  
( حامد ) الممر في سرعة ، وولج حجرة ( راوية ) ، وأغلق  
الباب خلفه ..

وقف لحظة يتأمل وجهها الشاحب . وعينها المسبلتين  
المتضخمتين ، وشعر ينبع الحنان يعود ليتدفق في قلبه ..  
اقرب منها في بطاء ، وجلس إلى جوارها في هدوء ..  
سالت دموعه وهو يلمح تلك الأنابيب الدقيقة ، التي  
غاصت في أوردها . تمنحها الدواء والأمان ، ثم انحنى  
على جبينها ، فأودعه قبلة طاهرة ، حملت كل حنانه  
وحبه ولطفه ..

كان لقبلة الدافئة مفعول السحر .. بل كانت أقوى  
من السحر نفسه . ومن الطب والأطباء ..  
لم يكذ يرفع شفثيه عن جبينها ، حتى فتحت عينها في  
بطء ..

\*\*\*\*\* ٨٣ \*\*\*\*\*

اختلج قلبه وهي تنظر إليه في لفحة ، وتفجرت  
يتابع الحنان والحب في داخله عندما هتفت في وهن :  
- ( حامد ) !! .. أمي الجنة ؟

التقط كفها الرقيقة ، ورفعها إلى شفثيه بقبلها ، وهو  
يهمس في حب :

- المنتحرون لا يذهبون إلى الجنة يا حبيبتى ، ولنحمد  
الله - سبحانه وتعالى - على أنك ما زلت في الدنيا .

رفعت حاجبها في حنان ، وهي تقول في حب وضعف :  
- الجحيم أفضل من الحياة دونك يا ( حامد ) .

رفع كفها إلى شفثيه مرة أخرى ، وقبلها في حنان ،  
وقال :

- لن نفرق مرة أخرى يا حبيبتى .

سأله في يأس :

- كيف يا حبيبي ، وكل هذه التقاليد والعصبيات  
تحيط بنا ؟

صمت مفكراً ، دون أن يترك كفها من بين راحتيه ،  
ثم قال في هدوء :

- لقد فشلت كل الطرق السلمية يا ( راوية ) ،  
لم يعد أمامنا سوى المخاطرة بالوسيلة التي اقترحتها .

سأله في لفحة أنستها ضعفها ووهنها :

- ماذا تعنى يا ( حامد ) ؟

أجابها في حزم ، وكأنه قد اتخذ قراره النهائي :

- سأنتظرك بعد غد في قطار الساعة والنصف مساءً ،  
وسنفر معاً إلى القاهرة ، وهناك نتزوج ، ونضع الجميع  
أمام الأمر الواقع .

هتفت في فرح :

- ولن نبالي لو قتلونا يا ( حامد ) .

قبل كفها مرة أخرى ، وقال في حب :

- سنموت معاً على الأقل يا حبيبتى .

سالت من عينيها دموع الفرح ، وهي تعاهده قائلة :

- ما أجمل الموت في هذا الإطار يا حبيبي !! سأكون  
لك .. لك وحدك .



## ١ - قلوب لا تعرف الرحمة ..

لم يستطع ( حامد ) إخفاء اضطرابه في اليوم الموعد ..  
منذ الصباح الباكر وهو يتحاشى مقابلة أشقائه ،  
أو التحدث إليهم ..

كان يعلم أن ( راوية ) ما زالت تتظاهر بالضعف  
والوهن ، حتى يمكنها البقاء في المستشفى ، حيث يكون  
فرارها أهون ..

كل ما ينشأه هو أمها ، التي لا تفارقها دوماً ،  
بعد أن رفضت عائلة ( الهواري ) بقاء والد ( راوية )  
وسلطهم ، فانتقل إلى فندق صغير بالقرب من المستشفى ..  
في ذلك اليوم أيضاً شعرت ( راوية ) بالتوتر ..

كانت تعلم أن فرارها مع الرجل الذي تحبه أمر غير  
مقبول اجتماعياً ، ولكن القيود والأسوار ، التي وضعت  
حول حبهما ، جعلت هذا الأسلوب غير المستساغ هو  
الأمل الوحيد لزوجيهما ..

أرادت أن تقوم بمحاولة أخيرة ، عندما سألت والدها  
هذا الصباح :

\*\*\*\*\* ٨٦ \*\*\*\*\*

— أما زالت العائلة ترفضك يا أبي ؟

شعرت بالحنق المستعمر في أعماقه ، وهو يقول في صرامة :  
— إنها مسألة وقت .

عادت تسأله :

— لم يعد زواجي من ( حامد ) يؤثر كثيراً إذن ؟  
عقد الوالد حاجبيه في غضب ، وقال :

— هذا أمر وذاك أمر .

سألته في إصرار :

— لقد خسرتنا العائلة على أية حال .

استدار إليها في ثورة ، ثم لم يلبث مرآها في فراش  
المرض أن أثار عاطفته ، فكظم غيظه وهو يقول :

— غضب العائلة لرفضك الزواج من ابن عمك غضب

وقتي ، لن يلبث أن يزول ، أما لو وافقت على زواجك

من ( حامد ) هذا ، فسيعد هذا بمثابة العار لهم ، خاصة

بعد أن رفضت هواريًا من أجله ، وهم لا يغفرون هذا

مطلقاً .

ترددت لحظة ، ثم عادت تسأله :

— وماذا سيفضرك من عدم غفرانهم ؟

\*\*\*\*\* ٨٧ \*\*\*\*\*



هتف في مخطط لم يستطع إخفاءه هذه المرأة :

— سأفقد كل شيء .. سأفقد أرضي التي يقوم أشقائي  
بزراعتها ، سأفقد مكانتي في العائلة سأفقد .. كل شيء .  
قالت في محاولة أخيرة :

— هناك قانون لن يمكنهم من انتزاع أرضك و ....  
قاطعها في غضب :

— أي قانون هذا ؟ إن انتزاعهم الأرض في هذه الحالة  
سيكون بديلاً عن قتل ، إنك لا تفهمين قوانين الصعيد .  
هتفت والدتها ، وقد أنساها خوفها على ابنتها استسلامها  
الدائم له :

— كفى يا ( إبراهيم ) .. ألا ترى أنها مريضة ؟

عقد ( إبراهيم ) حاجبيه ، وقال :

— حسناً .. حسناً .. سأتركها معاً ، وسأنصرف  
لشأنى .

لاذت ( راوية ) بالصمت حتى انصرف والدها ،  
ثم سألت أمها في لهفة :

— كم الساعة الآن يا أمّاه ؟

أجابتها أمها في دهشة :

— إنها الخامسة والنصف يا ( راوية ) .. لم تسألين ؟

هزت كتفها في لا مبالاة مصطنعة ، وإن لم تستطع  
منع قلبها من الاختلاج في قوة ، وهي تقول :

— أردت أن أعرف الوقت فحسب يا أمّاه .

عقدت الأم حاجبها في شك ، فقد أنباها قلبها أن  
ابنتها كانت تقصد الكثير من خلف هذا السؤال ،  
وأشاحت ( راوية ) بوجهها عن أمها ، حتى لا تفضحها  
عينها ..

في اللحظة ذاتها كان ( حامد ) يرقب عقارب الساعة  
في توتر ، وهو ينتظر اللحظة التي يبدأ فيها مشوار حبه  
مع ( راوية ) ..

كان يكره هذا الأسلوب الذي سيقدمان عليه من  
أعماقه ..

كان يعلم أنه أسلوب خاطئ من الألف إلى الياء ..  
ولكن البديل كان فقد ( راوية ) إلى الأبد ..

الفكرة وحدها دفعته إلى تعجل لحظة فرارهما إلى  
عالم الحب ، بكل ما سيحمله هذا من مخاطر وعذاب ..

ظل يروح ويحيى في حجرته حتى السادسة ، وتوتره  
يتصاعد مع كل ثانية تمر ..

ولم تكد الساعة تدق السادسة حتى ولج شقيقه  
( أبو الوفا ) إلى حجرته ..

شعر باضطراب شديد حينما رأى شقيقه أمامه ،  
ولكنه حاول أن يبدو هادئاً ، إلا أن صوته بدا مرتعداً ،  
وابتسامته بدت شاحبة ، وهو يقول :

— مرحباً يا ( أبا الوفا ) .. كيف حالك ؟

ابتسم ( أبو الوفا ) ابتسامة بدت غامضة في عيني  
شقيقه ، وهو يقول :

— في خير حال .. لقد رأيتك تعزل الجميع منذ  
الصباح ، فأحضرت كوبين من الشاي لتتناولها معاً ..

لاحظ ( حامد ) لأول مرة كوبى الشاي اللذين  
يحملهما شقيقه ، فألقى نظرة سريعة على عقارب الساعة ،  
وقال في توتر :

— لا بأس .

ناوله شقيقه أحد الكوبين ، وجلس إلى جواره ،  
قائلاً :

— ماذا بك يا ( حامد ) ؟

حاول ( حامد ) أن يتسم ، ولكن ضحكته جاءت  
عصبية ، وهو يقول :

— لا شيء .. هل ترى شيئاً مختلفاً في مظهري ؟  
ابتسم ( أبو الوفا ) دون أن يعلق ، وراقب شقيقه  
وهو يرتشف كوب الشاي على عجل ، ثم قال في تخابث :  
— هل هناك أخبار جديدة عن ابنة ( الهواري ) ؟  
تظاهر ( حامد ) باللامبالاة ، وهو يقول :

— لست أدري .

ابتسم ( أبو الوفا ) نفس الابتسامة الغامضة وهو  
يرتشف كوبه في ببطء ، ويتأمل شقيقه بعينين فاحصتين ،  
وساد الصمت بينهما طويلاً ، وعينا ( حامد ) تختلسان  
النظر إلى ساعته ، بين حين وآخر ، إلى أن سأله  
( أبو الوفا ) في هدوء :

— هل لديك موعد ما ؟

هز رأسه نفيًا في قوة ، بدت له فيما بعد مبالغة وهو  
يقول :

— مطلقاً .. من أوحى إليك بهذه الفكرة ؟

شعر باللام شديدة في رأسه بعد هذه الحركة ، وخيل  
إليه أن أجفانه تتأقل ، ولكنه قاوم هذا الشعور العجيب ،  
وقال :

— ليس لدى أية مواعيد على الإطلاق .

لاحظ ( أبو الوفا ) ذلك التبدل الذي أصاب شقيقه ،  
فابتسم وقال :

— وماذا عن موعدك مع ابنة الهوارى في السابعة  
والنصف ؟

شعر ( حامد ) بدهشة عارمة تجوب أعماقه ، ولكنه  
عجز عن التعبير عنها ، فقد ثقل لسانه ، وازداد تأقل  
جفنيه ، ودار رأسه في قوة ، فغمغم :

— كيف .. كيف عرفت ؟

نهض ( أبو الوفا ) واقفاً ، وقال :

— القدر يا ( حامد ) .

تطلع إليه ( حامد ) بعينين ذابلتين ، وحاول أن  
ينطق ، ولكن شقيقه استطرد في قسوة :

— في تلك الليلة التي أقدمت فيها ابنة ( إبراهيم  
الهوارى ) على الانتحار ، انفض الجميع من حوله ،

\*\*\*\*\* ٩٢ \*\*\*\*\*

وهرعت أنت إلى المستشفى في جزع ، ولم أستطع أنا البقاء  
هنا ، شعرت أنه من دواعي الشهامة أن أقف إلى جوار  
الرجل في محنته ، ومن دواعي الأخوة أن أحاول منعك  
من أى حماقة قد تقدم عليها هناك ، فذهبت إلى المستشفى ،  
ولكننى لم أجد أحداً هناك ، وأخبرتني إحدى الممرضات  
عن رقم حجرة الفتاة ، فظننت أن والدها يجلس إلى جوارها ،  
وقبل أن أدق الباب سمعتك تتحدث وإيهاها ، وتنفقان  
على الفرار .

لم يعد في استطاعة ( حامد ) أن يحرك واحداً من أطرافه  
التي تتأقلت كثيراً ، ولكنه غمغم في شحوب :

— ماذا فعلت بي ؟

هتف ( أبو الوفا ) :

— أحاول إنقاذك من تلك الحماقة ، التي ستعرفها مع  
تلك الحمقاء ، هل قلرت ماذا يمكن أن يحدث بعد  
فراركما .. إنك ستقيم في منزلك معها ، أو تبحثان عن  
مأوى آخر ، ولكنكما ستذهبان حتماً إلى عملكما ، فلن  
يكون لكما — حينئذ — دخل سواء ، وهذا يعنى أن

\*\*\*\*\* ٩٣ \*\*\*\*\*



العشور عليكما لن يكون بالأمر العسير ، ولن يكون  
جزاؤكما - حينئذ - إلا القتل بلا رحمة .

بذل ( حامد ) مجهوداً خرافياً ليبقى عينيه مفتوحتين ،  
وشقيقه يستطرد في غضب :

- لقد وضعت لك بعض الأقراص المنومة في الشاي ،  
حتى لا تنجح في هذه الحماقة ، أما هذه الفتاة فالأسلوب  
الوحيد لإنهاء قصتها ، هو إزاحتها من الطريق .

ارتجف قلب ( حامد ) خوفاً ، ونغم في صعوبة :

- لا يا ( أبا الوفا ) .

هتف ( أبو الوفا ) :

- هذا هو الحل الوحيد ، إن إزاحتها عن الطريق ،

سيجنب المائلتين إراقة أنهار من السماء .. إنني أفضل  
ما أراه صواباً يا أخى .. صواباً لك وللعائلة كلها .

لم يصدق ( حامد ) أذنيه ، وهو يسمع هذه الكلمات  
القاسية من فم أخيه ..

لم يصدق أن العالم يضم إناساً خلعت قلوبهم من الرحمة  
إلى هذا الحد ...

نغم ( حامد ) ، وهو يقاوم النعاس في مجهود خرافى :  
- والرحمة !

صاح ( أبو الوفا ) :

- إن ما أفعله هو قلة الرحمة .. أنت تفكر بعقلك

ومشاعرك وحدك ، ولكننى أفكر بعقل ومشاعر أسرة

كاملة .. صدقنى يا ( حامد ) ، إن ما أفعله هو قلة الرحمة .

تطلع ( حامد ) إلى شقيقه في ضراعة ، وبذل مجهوداً

يفوق طاقة البشر ، ليقول :

- لا تقتلها يا ( أبا الوفا ) .. أرجوك .

نظر إليه ( أبو الوفا ) لحظة في صرامة ، ثم قال :

- أعدك أننى لن أقتلها يا ( حامد ) .

تهاوى رأس ( حامد ) على صدر شقيقه فور سماعه هذه

العبارة ، وكأنما بعثت في قلبه الراحة ، حتى لم يعد هناك

مبرر لمقاومته ، واستسلم أخيراً لنعاس عميق ..

لم يكذب يفعل حتى استطرد ( أبو الوفا ) في صرامة :

- لن أقتلها يا ( حامد ) ، ولكننى سأترك للطبيعة أن

تفعل .

أشارت عقارب الساعة إلى الساعة عشرة دقائق ،  
عندما قالت ( راوية ) لأُمها :

- سأذهب إلى دورة المياه يا أمّاه .

هتفت أمها :

- هل أعاونك ؟

لوّحت ( راوية ) بكفها ، وقالت وهي تبسم :

- شكراً يا أمّاه .. لأنني أفضل أن ترتبي لي فراشي  
حتى أعود .

نهضت الأم تعني بالفراش ، على حين توجهت  
( راوية ) إلى خارج الحجرة ، ولم تنس أن تلتقي نظرة  
مشفقة على أمها قبل أن تغلق الباب وراءها ..

شعرت بالحزن والأسى ، لما متسببه لهذه الأم الطيبة  
من ألم وعذاب بفرارها ..

لعنت التقاليد السخيفة ، التي أجبرتها على هذا الوضع  
المؤسف ، ولكنها شكرت الظروف في الوقت نفسه ، لأنه  
لم تكن هناك دورة مياه ملحقة بحجرتها ..

\*\*\*\*\* ١٦ \*\*\*\*\*

لم تكذ تغلق خلفها باب دورة المياه ، حتى أسرع  
تنزع ثوب المستشفى ، حيث ارتدت أسفله ثوباً بسيطاً ،  
ووضعت على عينيها منظار شمس ، على الرغم من الظلام  
الذي شمل المكان بعد غياب الشمس ، ثم غادرت دورة  
المياه في خطوات سريعة مضطربة إلى خارج المستشفى ،  
وأسرعت الخطا إلى محطة القطار القريبة ، وهناك بحثت  
بعينها في لهفة عن ( حامد ) ، ولكنها لم تجده ، واقترب  
موعد القطار دون أن يظهر له أثر ..

تملكها الجزع والقلق ، عندما وصل القطار دون أن  
يظهر ( حامد ) ..

كانت تعلم أنه لن يتخلف عن مواعدها إلا لأسباب  
تفوق قدراته ، وتساءلت في خوف عن هذه الأسباب ..  
قبل أن يشتد بها الجزع ، سمعت صوتاً من خلفها  
يقول في هدوء :

- لقد تغيرت الخطة ..

استدارت إلى مصدر الصوت في فزع ، فرأت  
أمامها رجلاً صارم الملامح ، حاول أن يلين ملامحه ،  
وهو يقول :

\*\*\*\*\* ١٧ \*\*\*\*\*

— لن يأتي (حامد) ..

تراجعت وهي تسأله في دعر :

— من أنت ؟

أجابها في ليونة :

— لا تخشى شيئاً .. أنا ( أبو الوفا ) شقيق (حامد) ،

وقد أخبرني كل شيء عما اعتزمتاه ، وأنا أؤيد زواجكما ،

ولكنني أرفض هذا الأسلوب .

أثارت هذه الكلمات الطمأنينة في نفسها ..

كانت هذه هي أول مرة ترى فيها (أبا الوفا) ،

ولم يكن (حامد) قد أخبرها عن رفض شقيقه الأكبر

زواجهما ..

ربما خوفاً من أن يرحبها بهذا ، وربما لعدم اهتمامه

بالأمر .. ولكنه لم يخبرها ..

اطمأنت هي إلى (أبي الوفا) ، فسأته في لفظة :

— أين (حامد) ؟ .. لماذا لم يحضر ؟

اطمأن (أبو الوفا) لنجاح خطته ، وقال :

— الحضور إلى هنا خطر للغاية ، فـ (دشنا) صغيرة ،

وسيعرفكما الجميع في مكان ظاهر كمحطة القطار ، لذا فقد

\*\*\*\*\* ٦٨ \*\*\*\*\*

اتفقت معه على أن يسافر إلى (قنا) ، وستلحق به أنا  
وأنت لتزوجا هناك .

بعثت كلماته السعادة في قلبها ، فقالت في لفظة :

— ومتى نلحق به ؟

ابتسم وهو يقول في هلو :  
— الآن .

شملت السعادة قلب (راوية) وهي تجلس إلى جوار

(أبي الوفا) في سيارته ، التي انطلق بها صامتاً طوال

الوقت ..

شملتها السعادة ، حتى أنها لم تنبه إلى الطريق الذي تقطعه

السيارة إلا متأخراً ..

أدهشها ذلك الظلام الذي يحيط بالسيارة من كل

جانب ، فسألت (أبا الوفا) في قلق :

— أي طريق هذا الذي تقطعه ؟

أجابها في برود :

— إنه طريق مختصر عبر الجبل .

امتلاّت نفسها بالشك والقلق ، فهتفت في دعر :

— إلى أين تقودني ؟

\*\*\*\*\* ٦٩ \*\*\*\*\*



لم يعد هناك ما يجبره على ارتداء قناع زائف ،  
فأبرز لها قسوته وهو يقول :

- إلى حيث تنتهي هذه المهزلة ، أيتها الهوائية .

صرخت في دعر :

- أنزلي .. أنزلي .

أدهشها أن أوقف السيارة في الحال ، وقال في برود :  
- انزلي .

أسرعت تقفز من السيارة في دعر ، ولم تكذب تفعل  
حتى انطلق مبتعداً ..

لم تتبين الوضع للوهلة الأولى ، حتى تلاشت أضواء  
السيارة ، وخلفها الظلام المرعب ..

كشفت في تلك اللحظة أنه تركها وحيدة في الجبل ..  
ارتعد قلبها رعباً ، وانطلقت تعدو خلف السيارة وهي  
تصرخ :

- لا .. لا تتركني هنا .. أرجوك ..

ضاعت صرخاتها وسط صمت الجبل ، وتعثر  
أكثر من مرة ، وسقطت على وجهها وسط رماله وحصاه ،  
ولكنها كانت تنهض في كل مرة ، وتعاود العدو ، حتى

\*\*\*\*\* ١٠٠ \*\*\*\*\*

لم تعد تستطيع ، فسقطت وسط الرمال ، وتفجر الدمع  
من عينيها غزيراً يروي رمال الصحراء ، وهي تصرخ  
في رعب :

- النجدة يا ( حامد ) .. النجدة ..

واختلط نداءها بعواء الذئب ، ثم تلاشى في حوض  
الجبل ..

لم يتلاشى النداء تماماً ..

لقد انطلق من قلبها إلى قلب ( حامد ) تماماً ..  
عجيبة هي تلك العلاقة بين الأحبة ..

إنهم لا يحتاجون في كثير من الأحيان إلى كلمات  
مسموعة ، فقلوبهم تربط بينهم دوماً ، وكأنها قد امتزجت  
وأصبحت قلباً واحداً في جسدين ..

لم تكذب ( راوية ) تطلق نداءها في قلب الجبل ، حتى  
انخفض ( حامد ) على بعد عشرات الكيلومترات ، واستيقظ  
من نومه فجأة ..

هبّ من فراشه صارخاً في جزع ..

انطلق إلى خارج حجرتة ، واندفع إلى أحد أشقائه  
يسأله في صوت صارخ :

\*\*\*\*\* ١٠١ \*\*\*\*\*

— أين ( أبو الوفا ) ؟

هتف شقيقه في دهشة :

— لست أدري ، لقد استقل سيارته و ....

قاطعه ( حامد ) صارخاً :

— سيارته ١٩

ألقى نظرة سريعة على ساعته ، وكاد قلبه يتوقف حينما رأى عقاربها تشير إلى الثامنة والنصف ، فاندفع خارج منزل عائلته وسط دهشة الجميع ، ولم يكذب يفعل حتى رأى أمامه ( إبراهيم الهوارى ) ، الذى سأله في غضب هادر :

— أين ابنتى يا ( حامد ) ؟

هتف ( حامد ) في ذهول :

— ابنتك ١٩

صرخ ( إبراهيم ) في جنون :

— نعم ابنتى أيها المخادع ، لقد أقنعتها بالهرب ..

أين هى ؟ .. إن أمها تكاد تموت ألماً وحزناً .

امتلاً قلب ( حامد ) بالذعر والقلق ..

\*\*\*\*\* ١.٢ \*\*\*\*\*

لقد مضى موعده مع ( راوية ) منذ ساعة كاملة ، وهى لم تعد إلى المستشفى حينما لم تجده بانتظارها ..

ليس من المعقول أن تكون قد رحلت وحدها إلى القاهرة ، فلن يكون لها من مأوى هناك بدونها ..

وغياب ( أبى الوفا ) ؟

صاح في جزع :

— صدقنى يا سيّد ( إبراهيم ) ، إننى نائم فى حجرى منذ السادسة والنصف ، ولم أستيقظ إلا الآن .

كان الصّدق واضحاً فى كلماته ، حتى أن وجه ( إبراهيم الهوارى ) قد شحب وارتجفت أطرافه وهو يقول :

— إذن فقد انتحرت مرة ثانية .

لم يكذب يتم كلماته ، حتى توقفت سيارة ( أبى الوفا ) أمامهما ، وهبط هو منها فى هدوء ، وتجاهل شقيقه تماماً ، وهو يمد يده لمصافحة ( إبراهيم الهوارى ) قائلاً :

— مرحباً بك فى منزل أسرة ( الليثى ) يا سيّد ( إبراهيم ) .

جذب ( حامد ) شقيقه فى قسوة ، وقال فى صرامة :

— أين كنت يا ( أبا الوفا ) ؟

\*\*\*\*\* ١.٣ \*\*\*\*\*

ابتسم (أبو الوفا) في هدوء ، وقال في برود :

— نزهة قصيرة يا شقيق العزيز .

سأله (حامد) في حدة :

— نزهة في أى مكان يا (أبا الوفا) .

شعر (أبو الوفا) بالغضب الهائل في أعماق شقيقه ، وخشى أن يعميه الغضب ، فيفصح بحديثهما إلى (إبراهيم الهوارى) ..

خشى أن يؤدي هذا إلى مزيد من إراقة الدماء ، فغمغم في غضب :

— في الجبل .

شحب وجه (حامد) ، وغمغم في ذعر :

— الجبل ١٩

قفز (حامد) فجأة إلى سيارة شقيقه ، وهتف وهو يدير محركها :

— اطمئن يا سيّد (إبراهيم) ، سأبحث عن ابنتك في كل مكان .

ثم أردف قبل أن ينطلق بالسيارة :

— حتى ولو نبشت الأرض شبراً شبراً بحثاً عنها .

\*\*\*\*\* ١٠٤ \*\*\*\*\*

انطلق بسيارته نحو الجبل ، وجسده يرتجف لهفة وقلقاً على حييته ..

كانت معرفته بالجبل ثقل كبيراً من معرفة شقيقه به ، ولكنه لم يكن يجهله تماماً ..

أخذ عقله يعمل في سرعة دفعه إليها حبه الجارف ..

لقد استقل شقيقه سيارته ، ولم يغب أكثر من ساعة

واحدة « بعد الموعد المتفق عليه بينه وبين (راوية) »

وهذا يعنى أنه لم يتعد كثيراً ، وأن الطريق الذى اتخذته

يسمح بسير السيارة ..

قاده استنتاجه إلى طريقين لا ثالث لهما ، وقاده قلبه

إلى أحدهما في الحال ..

ترك قلبه يقوده دون أن يحاول مخالفته ..

كان يعلم أن العقل قد يخدع أحياناً ، ولكن القلوب

صادقة دوماً ..

لم يصدّق عينيه ، عندما وقع ضوء السيارة على جسد

ملقى فوق الرمال ..

قائد ماهر قلب المحب الصادق ..

لو أنك قصصت هذا في رواية خيالية ما صدقه أحد ..

\*\*\*\*\* ١٠٥ \*\*\*\*\*



شهر كامل مر منذ هذا اليوم العصيب ..  
شهر كامل لم تسمع فيه ( راوية ) كلمة واحدة عن  
( حامد ) ..

شهر كامل ذقت فيه كل أنواع العذاب ..  
ما زالت تذكر ذلك اليوم ، الذى أنقذها فيه ( حامد )  
من تيه الجبل ..

لقد أفاقت من غيوبتها فى ذلك اليوم ، لتجد نفسها فى  
المستشفى ، متهمه بمحاولة الانتحار ، وبالهروب من  
المستشفى دون إذن ، ولولا أنها نجحت فى إقناع وكيل  
النيابة بأنها قد تناولت الدواء المميت عن طريق الخطأ ،  
وأنها قد أصيبت بحالة من الشرود ، غادرت خلالها  
المستشفى لتهم على وجهها ، ولولا أن وكيل النيابة الشاب  
قد أشفق على شبابها ورقتها وضعفها ، لكانت الآن فى  
السجن ...

لم تدر شيئاً يومها عن ( حامد ) ..  
كل ما عرفت - بعدئذ - أنه غادر منزل عائلته  
غاضباً ، ولم يعد إليه مرة أخرى ..

ولكن قلب ( حامد ) قاده إلى ( راوية ) ..

قاده كرادار حساس لا يخطئ هدفه ..

أبنى ( حامد ) أضواء السيارة على ( راوية ) ، وقفز  
منها ليحيط بحيته بنراعيه ، ويهتف فى جزع :

- ( راوية ) .. هل أنت بخير ؟

الذعر المتجل فى عينيها أنبأه عن حالها ..

لقد رفعت عينيها إليه فى ضعف ، وغمغمت وهى

تبسم فى صعوبة :

- ( حامد ) :

ثم سقطت بين ذراعيه فاقلدة الوعى .



أما هي فقد أصرَّ والدها على عودتها إلى القاهرة ،  
ومنعها تماماً من الذهاب إلى عملها ..  
لم يستطع هو احتمال الشعور بالخذى في ( دشنا ) بعد  
ما فعلته ، ففرَّ منها إلى القاهرة ..

شهر كامل لم تسمع فيه كلمة واحدة عن ( حامد ) ،  
حتى تصوَّرت أنه ملَّ الصراع ، ولم يعد يرغب في الزواج  
منها ..

صحيح أن ( أبا الوفا ) لم ينجح في إقصائها عن الدنيا ،  
ولكنه نجح على الأقل في تحطيم أملها في الزواج من ( حامد ) ..  
شهر كامل لم تر فيه ( حامد ) ، ولكنها لم تغضب ..  
وجدت العذر في تجنب الصراع ، بعد أن أثبتت  
التقاليد أنها أقوى من أن يتحديها ..

ولكن شوقها إليه لم يقل يوماً واحداً ، بل تزايد في  
كل يوم يمرُّ بها ، حتى أنها لم تعد تأمل في هذا العالم سوى  
رؤيته ..

إنها لم تبال يوم تسلمت خطاب الكلية ، الذي يعلنها  
بفصلها من العمل ، لتغيُّبها طيلة شهر كامل دون إذن ..  
لم تعد تبالى بأى شيء سوى ( حامد ) ..

وفي ذلك اليوم من آخر أيام شهر سبتمبر ، وافق والدها  
أخيراً على السماح لها بالخروج والتنزه ..  
أسرعت ترتدى ثيابها ، وتغادر المنزل قبل أن يتراجع  
في قوله ..

لم تعد تحتل ذلك السجن الذي وضعها فيه منذ  
عودتهما من ( دشنا ) ..

انطلقت عبر الطريق في خطوات سريعة ، قبل أن  
يلحق بها والدها ، ويطلب منها العودة إليه ..

لم تكذب بعد عن المنزل حتى عاودها الشعور بالملل ..  
لم تشعر أن الأمر يختلف كثيراً داخل المنزل وخارجه ..  
بدت الأمور كلها في عينيها سواء « ما دامت بعيدة  
عن ( حامد ) ..

عادت تسير في ضجر وتملل ، وهي تتأمل واجهات  
المحال التجارية في تراخ ..

وفجأة سمعت صوتاً يهمس من خلفها :  
— حبيبتي .

ارتجف جسدها ، وصرت فيه نشوة غامرة ..

أهو صوت (حامد) حقاً ، أم أن خيالها المتلهف على  
رؤيته قد صور لها هذا ؟ .

لم تستطع منع الدموع التي انهمرت على وجنتيها في  
سعادة ، حينما دار ليواجهها ، وفي عينيه تألق كل حب  
الدنيا وحنانها وهو يكرّر :  
- حبيبتي .

كادت تلتقي بنفسها بين ذراعيه ، لولا أن منعها  
الحجل ، وهي تغغم من بين دموعها :  
- حبيبي .

تناول كفها في راحته ، وهمس في لوعة :  
- شهر كامل وأنا أنتظر خروجك أمام منزلك ..  
شهر كامل وأنا أطوف ببيتك ، مؤملاً نظرة واحدة من  
عينيك ..

لم يسعدّها قول في حياتها كما أسعدّها هذا القول ..  
إنه لم ينسها إذن يوماً واحداً طوال هذا الشهر ..  
إنه لم يتخلّ عن حبها لحظة واحدة ..

استسلمت له وهو يحتوى كفها براحته ، وكأنه

\*\*\*\*\* ١١٠ \*\*\*\*\*

يخشى أن يفقدها مرة ثانية ، وتركته يقودها إلى كافيتيريا  
شيرة في وسط البلد ، وهو يقول :

- لم أصدق نفسي ، وأنا أراك تغادرين منزلك الآن ..  
كدت أندفع إليك ، وأضربك إلى صدرى . لولا أن  
خشيت أن يكون والدك خلفك .. تركتك تباعدين كثيراً  
عن المنزل ، ثم جئت إليك .

جففت دموع فرحها ، وهي تقول :  
- لو أنني أعلم لأصررت على الخروج منذ زمن طويل .  
جلسا إلى مائدة في ركن الكافيتيريا ، وقال (حامد) :  
- لقد وجدت حلاً لمشكلتنا يا حبيبتي ، ولكنه يحتاج  
إلى تعاونك .

هتفت في إخلاص :  
- سأفعل ما تشير به يا (حامد) .  
ابتسم في هدوء ، وتأمل ملامحها في شغف ، وهو يقول :  
- لقد حصلت على موافقة هجرة إلى (أستراليا) .  
شحب وجهها ، وهي تغغم :  
- هجرة ؟

تابع قوله في هدوء :

\*\*\*\*\* ١١١ \*\*\*\*\*



— حصلت على موافقة هجرة أنا وزوجتي .  
ازداد شحوب وجهها ، وانتفض قلبها في قوة وهي  
تغمغم :

— زوجتك ١٩

مال نحوها وهمس :

— أنت يا ( راوية ) .

تحول انتفاض قلبها إلى رقصة فرح وسعادة ، وهي  
تقول :

— أنا زوجتك ١٩

أوما برأسه موافقاً ، وقال :

— هذا هو الحل الوحيد لمأساتنا يا حبيبتى .. لقد  
حصلت على موافقة الهجرة ، لأننا بذلك سنحيا في مكان  
آخر ، لن تصل إلينا فيه تلك التقاليد ، التي تحول دائماً  
بين زواجنا .

صمتت وهي ترتعد من فرط سعادتها ، فتابع  
قائلاً :

— لو أننا تزوجنا على الرغم من الجميع ، فلن نجد  
مكاناً آمناً واحداً في مصر كلها ، وحتى لو وجدنا ،

\*\*\*\*\* ١١٢ \*\*\*\*\*

فستعيش دوماً في خوف لا ينتهى .. قد لا نبالي بالموت في  
البداية ، ولكننا إذا ما أنجبنا ، فسيسيطر الخوف على حياتنا ،  
خوفاً على أبنائنا على الأقل .

هتفت في سعادة :

— سأتبعك إلى نهاية العالم يا ( حامد ) .

صمت لحظة ، وكأنه يستجمع أفكاره . ثم قال في  
هلهول :

— سنتزوج الليلة يا ( راوية ) .

اختلج قلبها ، وهي تقول في سعادة :

— الليلة ١٩

قال في حماس :

— بل الآن .. قبل أن تعودى إلى منزلك . فلابد لي  
من إضافة اسمك إلى جواز سفرى ، وإلى أوراق الخروج  
والهجرة .

خفضت وجهها خجلاً وسعادة ، وهي تغمغم :

— هل تريد أن نتزوج الآن ؟

قال في حزم :

— نعم .. هل أنت مستعدة ؟

\*\*\*\*\* ١١٢ \*\*\*\*\*

هتفت في إخلاص :

— قلت لك إنني سأتبعك إلى نهاية العالم يا (حامد) .

نهض وهو يقول :

— هيّا بنا إذن .

مرّت الساعة التالية في سرعة عجيبة ..

لقد ذهبا إلى المآذون ، وعقدا قرانهما بعد أن شهد

أبنا المآذون على زواجهما ..

أصبعا في دقائق زوجاً وزوجة ..

لم تصدّق (راوية) نفسها ..

لم تصدّق كل هذا الفرح الذي ملأ قلبها ..

لم تصدّق أنها أصبحت زوجة (حامد) ، الذي

أحبه بكل جوارحها ..

هو أيضاً لم يصدّق ما حدث ..

لم يصدّق أن الأمر قد تم بكل هذه البساطة ..

لم يصدّقاً حتى غادرا مكتب المآذون ..

هنا فقط هتف (حامد) في معادة :

— يا إلهي !! أنت زوجي الآن يا (راوية) .

هتفت في فرح :

— وأنت زوجي يا (حامد) .

تلاشت الفرحنة من وجه (حامد) في سرعة « وقال :

— مع إيقاف التنفيذ للأسف .

هتفت (راوية) في حماس :

— ما من مخلوق في الأرض يمكنه التفريق بيننا الآن

يا (حامد) .

أجابها في هدوء :

— لقد تم زواجنا رسمياً يا (راوية) ، ولكنني لن

أسعد به حتى تضمنا الطائرة في طريقنا إلى (أستراليا) ،

حيث نصبح في مأمن من انتقام عائلتي .

ثم أمسك كنفها ، وقال في حزم :

— اسمعيني جيداً يا (راوية) .. إن إضافة اسمك إلى

جواز السفر لن يستغرق أكثر من يوم واحد ، بعدها

سأحجز تذاكر السفر .. وعليك أن تقابليني بعد ثلاثة

أيام ، لأحدد لك موعد سفرنا ، حتى يمكنك إعداد

نفسك للهجرة .

وقفت ( راوية ) لحظات تواجه عيني والدها لأول مرة ..

تملكتها رغبة قوية في محدّيه هذه المرة ..  
أرادت أن تصرخ في وجهه ، أنه لم يعد يملك من أمرها شيئاً ..

لقد أصبح لها زوج يمتلك كل شيء فيها ..  
ولكنها آثرت ألا تخبره ..  
أرادت أن تحافظ على حبها ، ولا تثير من حوله الصراع ، قبل أن يحين الوقت المناسب ..  
أجابته والدها في هدوء :  
- كنت أنتزّه في وسط البلد .

قال والدها في صرامة لا تخلو من السخرية :  
- وهل يمنع التنزّه كل هذا القدر من المرح والسعادة ؟  
أشاحت بوجهها ، وهي تقول :  
- السجين يشعر بالسعادة والمرح دائماً ، عشية خروجه من السجن .

قالت ودمع الفرح يترقرق في عينيها :

- سأفعل يا ( حامد ) .. أعدك بذلك .  
افترقا بعد أن تواعدا باللقاء بعد أيام ثلاثة ، وعادت هي إلى منزلها وهي تكاد ترقص فرحاً ..  
لم تعد فكرة فرارها مع من تحب تؤرقها ، فنذ هذه اللحظة سيصبح حبيبها إلى الأبد ..  
لقد أصبح زوجها ، وعليها أن تطيع ما يأمرها به ..  
دقت باب منزلها في مرح ، وفتحت والدها الباب ،  
فقفزت تتعلق بعنقها ، وتهتف في سعادة :  
- كيف حالك يا أبجل أمّ و .... ؟  
بترت عبارتها فجأة ، وتلاشى مرحها ، حينما ارتطمت عيناها بعيني والدها الصارمتين ، وسمعت يسألها في قسوة :  
- أين كنت ؟





قال الوالد في غضب :

— لقد قابلت ( حامد ) .. أليس كذلك ؟

أرادت أن تنكر ، ولكنها وجدت نفسها تقول في تحد :

— نعم .. قابلته .

اتسعت عينا والدها في دهشة من هذا الأسلوب

المتحدى ، وانكشت والدتها وهي تتوقع ثورة الوالد ،

التي لم تلبث أن اندلعت وهو يصرخ :

— قابلته ١٩ .. أتواجهيني بكل هذا التحدي أيتها

الفاجرة .

صرخت في وجه أبيها :

— ماذا فعل ( حامد ) حتى تنبذه إلى هذا الحد ٩ ..

وماذا فعلت أنا حتى تلقيني بهذا اللقب البغيض ٩ .. لقد

جاء إلى منزلك كأي رجل شريف ، يطلب الزواج من

ابنتك ، ولم يكن فاشلاً ، أو فاسداً ، ولكنك رفضته ،

وهي الرغم من رفضك له سعى إليك مرة أخرى في بلدتك ،

فعدت ترفضه ، ويعد أن رفضته مرتين أنقذ ابنتك الوحيدة

من الموت وسط الجبل .. أخبرني إذن أي خطأ ارتكبه

( حامد ) .

ارتجفت الأم من قمة رأسها حتى أخض قلميها ،

واتسعت عينا الوالد في ذهول ، وهو لا يصدق ما أقدمت

عليه ابنته من الثورة في وجهه لأول مرة في عمرها ..

( راوية ) أيضاً شعرت بخطأ ما أقدمت عليه ،

فقاضت السماء من وجهها ، وقالت :

— معذرة يا والدي .. لقد ....

قاطمها والدها في غضب :

— لقد نسيت كيف يتعامل الأبناء مع آبائهم .

أطرقت ( راوية ) في خجل ، على حين أسرعت الأم

إلى الوالد ، وقالت :

— إنها لم تكن تقصد .. إنها ....

قاطمها الوالد في صرامة :

— إنها لن تغادر هذا المنزل مرة أخرى .

شعب وجه ( راوية ) وهي تسمع هذا القرار القاسي ،

وعجمت في ذعر :

— ولكنني اعتلرت يا أبتاه ..

لم يفزعها القرار إلا لأنها لا بد أن تلتقي بزوجها

( حامد ) بعد ثلاثة أيام ..

لم يفزعها السجن ، إلا لأنه يحرمها حبيبها ..

ولكن والدها عاد يقول في صرامة :

— لن تغادري هذا المنزل مرة أخرى ، هذا قرارى

الأخير .

شعرت ( راوية ) بغضب شديد في أعماقها ، ولكنها

لم تعترض ..

قررت أن تقابل زوجها ، حتى وإن اضطرت لمخالفة

والدها ..

وهذا ما فعلت بالفعل بعد مرور الأيام الثلاثة ..

في الموعد المحدد تماماً كانت ترتدى ملابسها ، وتستعد

للخروج ..

لم يكن والدها بالمنزل ، وجزعت والدتها وهي تراها

تهم بمغادرة المنزل ، فسألتها في رفق :

— إلى أين يا ( راوية ) ؟

أجابتها في هدوء :

— لا بد لي من الخروج يا أمّاه .

ربتت الأم على كتفها في حنان ، وقالت في قلق :

— لن يعجب هذا والدك يا بنتى .

عقدت ( راوية ) حاجبها ، وقالت في صرامة لم  
تعهدا فيها أمها من قبل :

— لا بد أن أذهب يا أمّاه .

لم تستطيع أمها اعتراضها ..

إنها لم تحاول في الواقع ، فلم تكن تتفق مع والدها في

هذا الأسلوب القاسى ..

كانت تحبّ ابنتها الوحيدة حباً يفوق الوصف ، حتى

أنها كانت مستعدة لتحمل كل صرامة الأب وقسوته من

أجلها ..

كل ما فعلته هو أن تبعها ببصرها ، ونمغمت في حنان :

— ليرعك الله يا ابنتى .

أسرعت ( راوية ) إلى لقاء ( حامد ) في لفّة ..

كانت تشعر وكأن الأيام الثلاثة ، التي مضت منذ آخر

لقاء لها دهرأ كاملاً ..

لم تكذب تلمحه وهو ينتظرها في تلك الكافيتيريا القريبة ،

حتى افتر ثغرها عن ابتسامه سعيدة ، وأسرعت إليه وهي

تهتف في لفّة :

— كيف حال زوجى العزيز ؟

استقبلها في لفحة مماثلة ، وهو يهتف :

— كيف حالك أنت يا زوجتي الحبيبة ؟

مدت كفها إليه ، ومدت كفها إليها .. وتصافحا ..

تذكرت أكفهما هذه المصافحة التي افتقدتها طويلاً ..

وجدتا نفسيهما فجأة يميلان نحو بعضهما البعض ،

ليبادلا نفس العبارات الهامسة القديمة ، التي ظلت سرا حتى

يومنا هذا ، ثم ابتسما في سعادة ..

احتوى هو كفها في راحته ، وقادها إلى مائدة منزلة ..

وما أن استقر بهما المقام حتى قال ( حامد ) :

— لقد أعددت كل شيء .

سألته في لفحة :

— هل انتهت كل الأوراق ؟

ابتسم في هدوء ، فتخضب وجهها بحمرة الخجل

وهي تهمس :

— أعني متى .. متى نسافر ؟

قال في بطاء :

— غداً في الفجر .

هتفت في دهشة :

— غداً !!

سرت في جسدها رعدة خفيفة ، حينما كشفت أن

الأمر أقرب مما تتصور ..

كانت تعلم أنها ستضطر إلى مفارقة والدتها ، ولكنها

لم تكن تتوقع أن يكون ذلك بهذه السرعة .

لاحظ هو اضطرابها ، فسألها :

— هل ترددين في مرافقتي يا ( راوية ) ؟

هتفت في لفحة :

— مطلقاً يا ( حامد ) .. لأنني زوجتك ، والزوجة

تتبع زوجها إلى آخر العالم .

صمت لحظة يتأمل ملامحها ، ثم قال :

— ستقلم طائرتنا في الخامسة صباحاً ، ولا بد أن

نكون في المطار في تمام الثالثة .. وهذا يعني أن نلتقي هنا أمام

الكافيتيريا في الثانية صباحاً .

توقف عن إتمام حديثه ، وسألها :

— هل يمكنك ذلك ؟



أجابته في حماس :

— نعم .. سيمكنني ذلك ، حتى ولو اضطررت لإخبار  
والدى بأمر زواجنا .

عقد حاجبيه ، وقال :

— أفضل ألا تفعل .. يمكنك ترك رسالة ، أو شيء  
من هذا القبيل ، ولكن لا تخبريه ، حتى لا يعيق سفرنا بأية  
وسيلة .

وافقته ، وقالت :

— سنلتقي في الثانية بإذن الله .

افترقا هذه المرة على أمل لقاء قريب .. لقاء يجمع  
بين قلبيهما إلى الأبد ..

صعدت ( راوية ) في درجات السلم في ببطء .

كانت تفكر في الوسيلة المناسبة لإخبار والدتها بالأمر ..  
أشفقت كثيراً على أمها ، وشعرت أنها لن تحتمل  
فراقها طويلاً ، وأخذت تفكر فيما إذا كان من الممكن أن  
تقنعها بالسفر إليها يوماً ..

شغلها هذا التفكير حتى وصلت إلى منزلها ، وقرعت  
الباب بحركة آلية ..

لم يكد الباب يفتح حتى وجدت نفسها أمام أبيها ،  
الذي احمرَّت عيناه غضباً وهو يقول :

— ادخلي .

خطت إلى المنزل في هدوء ، وقد شعرت بفيض من  
القوة في عروقها يدفعها لعدم الخوف منه ، حتى عندما  
صرخ في وجهها :

— أين كنت ؟

أجابته في تحدٍّ :

— كنت مع ( حامد ) .

فجأة هوى والدها على وجهها بصفعة قوية قاسية ،  
وصرخ وهو يرتعد غضباً :

— أيتها الفاجرة .

أحنقها أن ينعتها بهذه الصفة القبيحة للمرة الثانية ،  
فصرخت في غضب :

— لن أسمح لأحد بأن يصفني بهذه الصفة مرة أخرى ،  
إنتى لم أذهب لمقابلة عشيق أو حبيب .. لقد ذهبت لمقابلة  
زوجي .

شبهت أمها في ذهول، وترنح والدما كالذبيح، وهو  
يغمغم في صوت مختنق :

— زوجك ؟

لم تحمله قدماه ، فهوى على أقرب مقعد إليه ،  
وغمغم في ألم :

— هل تزوجتما ؟

شعرت ( راوية ) بالندم على ما تفوهت به ، ولكنها  
لم تكن تستطيع التراجع ، فأجابت :

— نعم .. تزوجنا منذ ثلاثة أيام .

ثم أسرعت تستطرد :

— ولكن هذا لن يسبب لك شيئاً .. سنسافر في الخامسة  
من صباح الغد إلى (أستراليا) ، ويمكنك أن تثور لكرامتك ،  
ونقول إنك ستقتلنا لو رأيتنا و ....

أفاق والدما من ذهوله ، فصرخ في غضب هادر :  
— وشرقي .

انقض عليها فجأة ، وأخذ يهوى على وجهها  
بصفعائه ، فسقطت تحت قدميه كفراشة رقيقة داسها فيل  
ضخم ، وأسرع أمها تمسك بذراعه صارخة :

\*\*\*\*\* ١٢٦ \*\*\*\*\*

— كفى يا (إبراهيم) .. إنك ستقتلها .  
صرخ الوالد :

— لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا تزوجت سراً ؟

نهضت ( راوية ) ، ومسحت خيط الدم المناسب من  
طرف شفتها ، وقالت في غضب :

— ماذا كنت تريد مني أن أفعل ؟ .. لقد حاولنا  
إقناعك بأن نتزوج علناً ، ولكنك رفضت كل محاولتنا ،  
ولم تترك لنا سوى هذه الوسيلة .

امتلات عينا الوالد بصرامة تفوق كل صرامته الماضية ،  
وقال في صوت ارتجفت له الدماء في عروق ( راوية ) :  
— اذهبي إلى حجرتك .

أطاعته ( راوية ) وهي ترتجف ، وتابعتها أمها  
ببصرها في إشفاق ، ثم اقتربت من زوجها ، وقالت في  
حنان :

— اتركها تسافر مع زوجها .. لا تحطم قلبها .

استدار إليها الوالد ، وحدها بنظرة آخرستها رعباً ،  
ثم قال في صرامة :

— إنها لن تسافر معه .. لن تسافر معه ما دمت حياً .

■ ■ ■

\*\*\*\*\* ١٢٧ \*\*\*\*\*

عاد (حامد) إلى منزله ليعد حقيته على عجل ، ولم يكده يصل إلى هناك ، حتى عقد حاجبيه في مزيج من الدهشة والقلق ، عندما وجد الضوء ينبعث من ردهتها ، فأسرع بفتح الباب .. وما أن فعل حتى تسمر في مكانه ، واكتست ملامحه بالصرامة ، وهو يحدق في وجه شقيقه (أبى الوفا) .

كان (أبو الوفا) في هذه اللحظة يمسك بين يديه بتذكرنى السفر ، وجواز السفر الذى يضم صورتي (حامد) و(راوية) ، وما أن شاهد شقيقه ، حتى ألقى ما بيده على المنضدة ، وقال في غضب :

— لقد تزوجتها إذن !

أغلق (حامد) الباب خلفه في قوة ، وقال في لهجة تنطوى على التحدي :

— نعم .

سأله (أبو الوفا) في غضب :

— وكيف أقنعت والديها بالموافقة ؟

أجابه (حامد) في برود ، وهو يتوجّه إلى غرفته ليعد حقيته :

— ليس هذا من شأنك .

قال (أبو الوفا) في صرامة :

— أحسنت عندما أقدمت على الهجرة ، فهذا هو الأسلوب الوحيد الذى يقيك انتقام العائلة .

أخذ (حامد) يرتب أشياءه في حقيته ، دون أن يبالي بالرد ، على حين جلس (أبو الوفا) يراقبه في صمت ، ثم قال :

— هل وافق (هوارى) لأنكما ستهاجران ؟

لم يجب (حامد) عن سؤاله ، فعاد يقول :

— حقير هو هذا (هوارى) .

غمغم (حامد) :

— لا تتحدث عنه بهذا الأسلوب يا (أبا الوفا) .

ظهر الغضب على وجه (أبى الوفا) ، وقال :

— كنت أتوقع هذه النهاية ، هأنذا تنهر شقيقك ، لأنه

نعت هوارياً بالحقارة .

قال (حامد) في برود :

— إنه والد زوجتى .

مطأً (أبو الوفا) شفتيه في احتقار ، وقال :



— حسناً يا (حامد) .. لأننى لن أتحدث عنه مرة أخرى .

استدار لينادى المنزل ، ثم توقف فجأة ، والتفت إلى شقيقه مغمضاً :

— ولكننى أنصحك بالبقاء فى ( أستراليا ) إلى الأبد ..  
فلو وطئت قدماك أرض مصر مرة واحدة ، سأقتلك ..  
هل تفهم ؟ .. سأقتلك .

لم يحرّك هذا التهديد عضلة واحدة فى جسد ( حامد ) ..  
ترك أخاه ينصرف ، دون أن يحاول حتى استبقاءه  
حتى الصباح ..

كل ما فعله هو أنه ألقي نظرة على ساعته ، ليعلم كم  
بقي لديه من الوقت ، قبل موعد لقائه بـ ( راوية ) ..

( راوية ) أيضاً ظلت تراقب عقارب الساعة حتى  
الواحدة والنصف صباحاً ، ثم ارتدت ثيابها ، وحملت  
حقيبتها ، وسارت فى تحدٍ إلى باب منزلها ..

لم يدهشها أن وجدت والدها ينتظرها هناك فى صرامة ،  
ولكنها لم ترتجف ..

بعث الحب فى عروقها قوة عجيبة ..

لم يكن بإمكانها أن تضيق الفرصة الأخيرة لحياتها ، مع  
الرجل الذى أحبته ..

والدتها أيضاً كانت تنتظرها باكية صامتة ..  
لم ترهبها صرامة والدها ، ولكن دموع والدتها مزقت  
قلبا ..

تركت والدتها تحتويها بين ذراعيها ، وتغسل وجهها  
بدموعها ..

امتزجت دموعهما ، فى حين همست أمها فى أذنها :  
— وفقك الله يا ابنتى ، وأسعدك مع زوجك .

قال الوالد فى صرامة :

— إلى أين ؟

اعتذلت ( راوية ) ، وهى تقول فى صرامة :

— إلى زوجى .

قال والدها فى غضب :

— لست أعترف بهذا الزواج .

قالت فى حدة :

— الله ( سبحانه وتعالى ) يعترف به ، ولا يحتاج

إلى اعتراف أى من البشر .

أقام الوالد يجسده حاجزاً يحول بينها وبين الباب ،  
وقال في صرامة :

— لن تغادري هذا المنزل حية ..

لم يكن في استطاعة ( راوية ) أن تقاوم عناد والدها  
وقوته ، فقالت في نومل :

— أرجوك يا والدي .. أرجوك .

لم ينبس الوالد ببنت شفة ، وعقد ساعديه أمام صدره ،  
وهو يتأملها في غضب ..

تحرّكت عقارب الساعة في سرعة ، حتى دقت تمام  
الثانية ، وهي تتوسل لأبيها أن يسمع لها بالخروج ، وهو  
لا يبادلها كلمة واحدة ..

وفي الثانية والربع تماماً ، دق باب منزل ( إبراهيم  
المواري ) فنهفت ( راوية ) في أمل :

— إنه ( حامد ) .

عقد الوالد حاجبيه في صرامة ، ونقلت الأم بصرها  
بينه وبين ابنتها في لهفة ، على حين قال هو :

— لن يمرؤ على الحضور .

وتأييداً لقوله ، استدار وفتح الباب في ثقة ، لم تلبث

\*\*\*\*\* ١٣٢ \*\*\*\*\*

أن تحطمت تماماً ، عندها رأى أمامه ( حامد ) ، فهتف  
في غضب :

— أنت ١٩ .. يا لصفاقتك ١١

قال ( حامد ) في صرامة :

— أتيت لأصطحب زوجتي .

صرخ الوالد في غضب :

— زوجتك ١٩ .. ومن قال إنني أقبل زواجكما ؟

أشاح ( حامد ) عنه بوجهه ، ومدّ يده إلى ( راوية ) ،  
قائلاً :

— هيا يا ( راوية ) .

في حركة مفاجئة سريعة ، انتزع الوالد من طيات  
ثيابه مسلماً ، صوّبه إلى ( حامد ) ، وهو يقول في غضب :

— سأقتلك قبل أن تمسها يدك .

ارتفعت فجأة صرخة غاضبة تقول :

— كفى .

لم تنطلق الصرخة من فم ( راوية ) ، وإنما انطلقت من  
فم أمها ..

تلك الأم التي لم تعد تحتل هذا الأسلوب العنيد المتعنت .

\*\*\*\*\* ١٣٣ \*\*\*\*\*

لم تعد تحتل أن ترى عذاب ابنتها الوحيدة على هذا النحو ..

كان لصرختها مفعول عجيب ، فقد أرخى الوالد يده المسكة بالمسدس ، والتفت إلى زوجته ، هاتفاً في دهشة :  
— ( نوال ) ١٩

صرخت الأم في وجهه :

— ماذا تريد مني ؟ .. هل ستقتلني أنا الأخرى ؟  
تطلع إليها الجميع في ذهول ، على حين واصلت هي حديثها الثائر ، قائلة :

— لقد احتملت صلفك ، وصرامتك طويلاً من أجل ابنتي ، ولكنني لن أحتمل أن تمس شعرة واحدة منها ، أو من زوجها .

تعلقت ( راوية ) بذراع أمها ، وهي تهتف :  
— أمّاه .

أما الوالد فقد نغم في ذهول :

— إني ....

قاطعت الأم في غضب :

— أنت ماذا ؟ .. لقد حاربتكما وحطمت قلوبكما

\*\*\*\*\* ١٢٤ \*\*\*\*\*

طويلاً ، من أجل بعض تقاليد لم تفد منها يوماً واحداً ، لقد فعلت ذلك في الواقع خوفاً من هذه التقاليد .. فلو أنك قوى كما تدعى ، ما أرهبتك تقاليد تعلم أنت جيداً أنها بالية مخيفة .

حطمت هذه الكلمات البسيطة المباشرة كل صلف الأب وجبروته ، حتى أنه ألقى بجسده فوق مقعد قريب . ونغم :

— لن أحتمل ما سينتب على هذا .

هتفت الأم في احتقار :

— لو أنك تحب ابنتك حقاً فستحتمل ، أما لو كان خوفك يفوق حبك ، فستظل دائماً جباناً رعيديداً ، في نظري على الأقل .

ساد صمت ثقيل مشوب بالتوتر بعد أن انتهت الأم من عبارتها ، إلى أن قطعت هي بأن قالت في حزم :

— هيّا يا ( راوية ) .. الحق بزواجك .

انحنى ( راوية ) على كف أمها تقبلها في حرارة وامتنان ، وامتزجت دموعهما مرة أخرى ، ثم رفعت رأسها إلى ( حامد ) الذي ظل صامتاً ، وقالت .



— هيا بنا يا (حامد) .

رفع الوالد رأسه فجأة ، وقال :

— انتظرا .

وقف (حامد) ، و (راوية) يتطلعان إلى الوالد ،

الذى نهض في بطنه ، وسار نحوهما ، ثم مال على ابنته  
وفعل آخر ما كانا يتوقعانه ..

لقد قبلها لأول مرة في حياته ..

لم يفعل ذلك حتى وهى بعد طفلة صغيرة ..

كانت المرة الأولى التى تشعر فيها (راوية) « بلمس

شفق والدها فوق وجنتها ، مما فجر عواطفها ، ودفعها إلى

التعلق بعنقه « وإشباع وجهه ثقيلاً ، وأزاحها هو في

هلهو وحنان ، وهو يحفف دمة انسابت من عينيه أمام

ابنته وزوجته لأول مرة ، وابتسم ابتسامة حانية ..

ابتسامة بدلت ملامحه كلها ، حتى أنه بدا ، ولأول

مرة مختلفاً تماماً في عيني (راوية) « وبدا صوته لها مختلفاً

تماماً ، مليئاً بالحب والحنان ، وهو يقول :

— لا تنسيا أن ترسلنا بصورة أول أحفادنا .

تفجرت الدموع من عيون الجميع ، وعادت (راوية)

تتعلق بعنق والدها وتمطره بالقبلات ، حتى قال (حامد)

في سعادة :

— هيا يا (راوية) ، سنتأخر كثيراً .

تابعتها أعين الوالدين وهما يسرعان بالانصراف ،

ثم سالت الدموع من عيونهما غزيرة ، وقد رأى كل منهما  
الآخر على نحو مختلف لأول مرة .

هضت (راوية) ، وهى تسرع إلى خارج المنزل :

— هل سجد إحدى سيارات الأجرة في هذا الوقت

التأخر ، أم ....

بترت عبارتها فجأة بشهقة قوية ، دفعت (حامد)

إلى الالتفات إلى حيث تحدق هى في رعب ، ولم يكده

يفعل حتى شعر بغضب هائل في أعماقه ..

كان يقف أمامهما تماماً شقيقه (أبو الوفا) ، وفي

ملامحه كل الصرامة ، وفي يده مسلسل ضخم ، يصوبه

إليهما في غضب .



مساد الصمت لحظة ، وهما يتبادلان النظرات مع  
( أبي الوفا ) ، ثم قال ( حامد ) :  
- ابتعد عن طريقنا يا ( أبا الوفا ) .  
قال ( أبو الوفا ) في صرامة :  
- القتل هو جزاؤكما الوحيد .  
ثم أردف في حق :

- لقد انتظرت طويلاً في سيارتي أمام منزلك ، حتى  
رأيتك تغادره ، فتبعتك إلى هنا ، حتى يمكنني قتلكما معاً .  
أطلقت ( راوية ) شهقة فزع ، على حين خطا ( حامد )  
أمامها ليقب جسدها بجسده ، وقال في غضب :  
- هيا يا ( أبا الوفا ) .. اقتل شقيقك .. هيا .. أطلع  
هذه التقاليد البالية ، وخالف الله ( سبحانه وتعالى ) هيا .  
تردد ( أبو الوفا ) لحظة ، ثم عاد يقول :  
- لقد نشأنا وسط هذه التقاليد .

هتف ( حامد ) :

- العرب في الجاهلية أيضاً نشئوا وسط حفنة من

التقاليد الخاطئة ، ولكن هذا لم يمنعهم من نبذها لطاعة  
الله ( عز وجل ) .

تردد ( أبو الوفا ) مرة أخرى ، ونغمم :  
- سيكللنا العار جميعاً ، لو تركتكما .

عاد ( حامد ) بهتف :

- ألن يكللك العار في أعماق نفسك ، لو قتلت شقيقك  
وزوجته ؟

مضت لحظة كالدهر ، وهما يحدّق بعضهما في بعض .  
بعد أن انتهى ( حامد ) من عبارته الأخيرة ، ثم أرخى  
( أبو الوفا ) مسدسه في بطة ، وقال في حق :  
- اذهبا إلى الجحيم .

تهدّت ( راوية ) الصعداء وهتفت :

- هيا يا ( حامد ) .. لا بد أن نجد ما يقلنا إلى المطار ..  
الوقت يمضي في سرعة .

تناول ( أبو الوفا ) مفاتيح سيارته ، وألقى بها إلى  
( حامد ) وهو يقول :

- هاك مفاتيح السيارة .. اتركها في المطار ،  
وسأذهب لإحضارها باكراً ، فلدي نسخة احتياطية .



لا ريب أنكم تتساءلون الآن من أنا ؟ ..  
لا ريب أنكم قد شعرت بالحيرة ، عندما انتهت قصة  
( حامد ) و ( راوية ) ، على هذا النحو الذي يحقق لها  
السعادة ..

لقد غادرا القاهرة في تلك الليلة بسلام ، ووصلا إلى  
( أستراليا ) بعد يوم ونصف يوم تقريبا ..  
لا ريب أنهما الآن يتهاامسان بنفس الكلمات ، التي لم  
أنجح في معرفتها أبداً ..

ربما أعرفها في العالم الآخر ، حينما نلتقي هناك ..  
وإن كنت أشك في أننا سنلتقي ..

يا لهذا النعاس اللعين !! لم أعد أستطيع حتى إمساك  
القلم .. هل لاحظتم أن كلماتي مرتعدة في الآونة الأخيرة ؟  
أصارحكم أنني قد بذلت مجهوداً خرافياً ، لإتمام  
الصفحات الأخيرة من هذه القصة ..

أما زلتم تتساءلون من أنا ؟ ..  
أنا الضحية الوحيدة لهذه القصة ..

التمقط ( حامد ) مفاتيح السيارة ، واقترب من أخيه ،  
وربّت على كتفه ، وهو يقول في حب :  
- كيف يمكنني أن أشكرك يا ( أبا الوفا ) ؟  
أشاح ( أبو الوفا ) بوجهه ، وقال في صوت متحشرج :  
- اذهبا قبل أن أراجع عن موقفي هذا .  
ظل واقفاً في مكانه كالتمثال ، حتى ابتعد ( حامد )  
و ( راوية ) بسيارته ، في طريقهما إلى المطار ، ثم غمغم  
في ألم ، وهو يمسح دموعه المنحدرت على وجته :  
- وداعاً يا شقيقي العزيز .. وداعاً .

\*\*\*





لم أعد أستطيع مواجهة عائلتى ، أو رفع رأسى ، بعد  
ما فعله ( حامد ) ، وما فعلته ( راوية ) ..  
لم يعد أحد يتعامل معى ، أو حتى يتحدث إلى ..  
لقد فقدت كل شئ ، ولم يعد أمامى إلا الموت ..  
الموت الذى أراه الآن يحوم حولى ، ويجذب القلم  
من يدي فى قوة ..

لابد أن أسرع إذا أردت إخباركم من أنا ..  
أنا .....

تأشيرة

السيد المحترم طيب شرعى محافظة قنا .

محبة طيبة ، وبعد :

مرسل لسيادتكم هذه الأوراق التى وجدت إلى جوار  
جثة المتوفى ( أبى الوفا محمود الليثى ) ، والتى توحى بأنه  
قد أقدم على الانتحار بكامل إرادته ، ومرفق طيه عينات  
لأوراق مكتوبة بخط المذكور ، للمقارنة بينها وبين الخط  
الذى كتبت به هذه الأوراق ، وتقرير ما إذا كان المذكور  
قد كتبها حقاً ، أم أنها وضعت بفعل فاعل لتضليل العدالة ..  
ونحيط سيادتكم علماً أن سيادة النائب العام يولى هذه

\*\*\*\*\* ١٤٢ \*\*\*\*\*

القضية اهتماماً بالغاً ، نظراً لكون المذكور ( أبى الوفا محمود  
الليثى ) من كبار أعيان مركز ( دشنا ) ، ويوجد أكثر من  
احتمال للثأر ، برجاء سرعة الفحص ، وموافاتنا بالنتائج  
على وجه السرعة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

وكيل نيابة مركز دشنا  
توقيع

• • •

[ نمت بحمد الله ]

\*\*\*\*\* ١٤٢ \*\*\*\*\*



المؤلف



د. نبيل فاروق

## السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

### البيع الجفاف

تحدثت جامعة القاهرة كلها عن  
حب (حامد) و (راوية)، ولكن  
التقاليد القديمة وقفت أمام  
حبهما.. تقاليد الصعيد القاسية،  
في كل منهما كان يفيض نبع من الحب والحنان،  
وجف البيع مع قوة العذاب  
الذي فرضته عليهما الحياة..  
هل يلغى قلباهما يوماً.. أم  
يرتويان من نار (البيع الجاف)؟



التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم